

حراس العقيدة

تأليف

أحمد القطعانى

الطبعة الأولي 1999م

الطبعة الثانية 2001م

الطبعة الثالثة 2016م

الناشر

دارُ بُشرى وكلُثوم

طرابلس - ليبيا

حراس العقيدة

تأليف
أحمد القطعانى

الطبعة الأولى 1999م ،الطبعة الثانية2001م

الطبعة الثالثة 2016م
الناشر
دارُ بُشرى وكلثوم
طرابلس ـ ليبيا

أنت أيها التصوف يا حواري الأنبياء يا سدرة منتهى الإنسان، مافتئت - تالله - تنير طريق الزمان وتهدي الحيران وتنشر نور الواحد الرحمن بالأسوة الحسنة وطيب التبيان، منهجك القرآن وسنة من جاء بالفرقان، أهلك ما أهلك وما أدراك ما أهلك قوم خُلُقهم الإسلام وكلامهم الإيمان وعملهُم الإحسان دعني أحبرُ في فضلهم مدائحي وأسبل في سبلهم جوانحي، وأصل مشرق الأمة برجالك في مغربها .

أحمد القطعاني

درنه - ليبيا .. الاثنين 5 / 11 / 1996م

التصوف أن تكون شُعيبي المقام تتجافى مطففي الأحوال ولا تبخس المقبلين أنوارهم، يأوي إليك العارف فتقول له لا تخف نجوت يا موفق، منصور أنت مصدق.

(الّذِينَ كَذّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الّذِينَ كَذّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ)

محمد بن سليمان الجزولي

ولد رضي الله عنه في آخر القرن الثامن الهجري في تانكرت بسوس في المملكة المغربية، وخرج منها مبكرا لصراعات داخلية نشبت بها وقصد مدرسة الصفارين بمدينة فاس لطلب العلم، ثُمَّ خرج إلى المشرق على عادة العلماء في تلك الأزمنة لملاقاة الشيوخ والأخذ عنهم حيث لم يكن المسلم يحتاج لأكثر من شهادة التوحيد لتفتح له القلوب ومواصيد الأبواب فقضى سبع سنوات طاف بها بمصر وليبيا وبيت المقدس وجاور بالديار المقدسة.

ثم عاد ليؤلف كتابه المبارك دلائل الخيرات من مكتبة القرويين وكان له لقاء بالشيخ أحمد زروق الذي دله على احد أهل الله ممن يربون المريد بالله لله ويبدل الله تعالى على أيديهم السيئات حسنات ولم يكن ذلك الرجل إلا شيخه السيد أبو عبد الله محمد الصغير امغار، فأخذ عنه الطريقة الشاذلية ودخل بإذنه الخلوة لمدة أربع عشرة سنة متصلة وردُه اليومي قراءة كتابه دلائل الخيرات مرتين في اليوم، ومائة الف بسم الله الرحمن الرحيم ويختم القرآن الكريم كل يوم مرة وربع المرة .

وخرج رضي الله عنه من خلوته المباركة تلك لينشر الطريقة الجزولية الشاذلية في وقت كانت البلاد أحوج ما تكون لمثله إذ كانت المغرب تحكمها الدولة المرينية التي ظهرت في جسمها دويلات هزيلة لضعف سلطتها المركزية بفاس فكانت ضعيفة عاجزة عن مواجهة خطر الاحتلال الأجنبي الذي يطرق بيده القوية الثغور والسواحل، وبالفعل أخذ عنه رضي الله عنه الطريقة الآلاف حتى أنه اجتمع بين يديه [12665 مريدا] وتنقل في بلاد كثيرة فأقام بماسة وافوغال وتازروت وفاس وغيرها كل ذلك آمرا بالمعروف ناهيا على المنكر داعيا إلى الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر.

وتوفي رحمه الله وهو قائم يصلي صلاة صبح يوم الأربعاء 16ربيع الأول 870هـ ـ 1465/11/5م متأثرا بسم دسه له بعض من لا يخاف الله عن زوجتين وابنتين ولم يعقب أولادا ذكورا.

وقد ضاع الكثير مما كتبه الإمام الجزولي رضي الله عنه لأسباب عديدة لا ضرورة للخوض فيها ويوجد منها الآن إضافة إلى كتابه دلائل الخيرات الذي لا يخلو قطر مسلم منه قط وبعض الأحزاب أكبرها حزب التوحيد المسمى بحزب سبحان الدايم وحزبان يحمل كل منهما اسم حزب الفلاح ووظيفة اسمها الوظيفة الربانية وحزب الحمد:

1) رسالة عقيدة الجزولي / مطبوع
2) رسالة التوحيد / مخطوط بخزانة ابن يوسف بمراكش
3) رسالة أجوبة الدنيا والدين / مخطوط بالخزانة العامة بالرباط
4) كتاب في الزهد / مخطوط بخزانة ابن يوسف بمراكش
5) كتاب النصح التام لمن قال ربي الله ثُمَّ استقام / مخطوط

أما في مجال التصوف فالأسانيد صحيحة الاتصال بالشيخ الشاذلي هي الأسانيد الجزولية والزروقية.

وتتفرع من الطريقة الجزولية الطرق الاتية:

الطريقة العيساوية نسبة للشيخ الكامل محمد بن عيسى.
الطريقة الحمدوشية نسبة للشيخ علي بن حمدوش العلمي المجذوب.
الطريقة الوزانية نسبة للشيخ عبد الله الشريف العلمي الوزاني.
الطريقة الريسونية نسبة للشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن ريسون.
الطريقة البقالية نسبة للشيخ محمد بن علال الحاج البقالي,
ولم يأخذ السادة المذكورين عن الشيخ الجزولي مباشرة وإنما اتصلوا به عن طريق من أخذ عنه أو من أخذ عمن أخذ عنه وإنه وإن كانت هذه الطرق مغربية المنشأ إلا أن فروعها في المشرق والجنوب والشمال من الكثرة بمكان فالتصوف شجرة طيبة مافتئت تؤتي بإذن ربها أكلها كل زمان ومكان.

والتصوف ألا ترى مُنعما على الحقيقة إلا المنعم فبه تخلو وتحلو وتجلو ومهما سُئلت أنى لك هذا رجعت إلى المنعم الحق.

(كُلّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ إِنّ اللّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ).

عائشة بنت أحمد الإدريسية

التصوف سمو ورفعة يذوقها من أتاه الله من الذوق ما أتاه، تعرفه القلوب الحية والأفئدة الزكية من رجال الأمة ونسائها.
وكما زخر جناح الأمة الشرقي بنساء حزن ذروة الفضل والمعرفة كرابعة العدوية وفاطمة النيسابورية وعفيرة العابدة وشعوانة وغيرهن كثيرات، زخر جناحها الغربي بسمدونة الليبية العابدة الزاهدة كانت تقطن مسجد سيدي عبد الله الشعاب وكل من زار الحاضرة الليبية طرابلس ونزل ضيفا كريما في فندق المهاري المُطل على الشاطئ المتوسط يرى لا محالة قبالة هذا الفندق الضخم مسجدا متواضعا يُسمى مسجد الشعاب نسبة لرجل صوفي من أهل الله توفي رحمه الله سنة (243هـ ـ 857م) كان يمتهن النجارة كحرفة يتعيش منها أتم بناء المسجد المذكور وسكنه .
وكان السلف الصالح يحرص على لقاء هذه السيدة والاجتماع بها والتبرك بمجلسها، لما رجع العلامة محمد زيد بن خلف من الحج قيل له: من رأيت في طريقك من الصلحاء؟
قال رأيت في طرابلس رجلا وامرأة، أما الرجل فأبو عثمان بن سعيد الحشاني وأما المرأة فسمدونه، ما الفضيل عياض بأفضل منهم.

أقول زخر جناح الأمة الغربي بالسيدة سمدونة والسيدة بسه والسيدة ريسون والسيدة منية بنت ميمون الدكالي والسيدة عائشة الإدريسية التي نحن بصدد زهرة من فائح عبير سيرتها وغيرهن كثيرات.

كانت رحمها الله من عباد الله الصالحين ذات اجتهاد في الصيام والقيام والذكر تُعرف بإجابة الدعوة ودوام الذكر أخذت تصوفها عن الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني المعروف بالقطب الغزواني (ت935هـ - 1529م) الذي كان دائم السؤال عنها ويأمر بزيارتها ولقيتْ من المشايخ أبا محمد الهبطي، وأبا البقاء عبد الوارث بن عبد الله، وأبا الحسن عثمان الشاوي، وغيرهم الكثير.

كانت رحمها الله ذات أخلاق وشمائل جعلت الخلق يتوافدون عليها للأخذ عنها وتسعى في الشفاعات فلا تُرد.

وكانت تحتفل في زاويتها بشفشاون بليلة المولد النبوي الشريف أيما احتفال ، فتذبح البقر والغنم وتطعم الطعام للفقير والمحتاج وابن السبيل فحدث في عام (957هـ - 1550م) والاحتفال بالمولد النبوي على الغاية المعروفة عند أهل التصوف رضي الله عنهم من جمال وبسط ونشر علم وإشادة بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونهجه وإذ برجلين مخمورين يقذفان بحجرين على الزاوية فارتج الحاضرون فقالت: لا بأس عليكم ودعت على من قذف الحجر بقطع ذراعه فمابرحا حتى اشتبكا مع أحد المارة فأصابتهما دعوتها .

ولها كرامات كثيرة تتواتر عنها مذكورة في كتب المناقب والطبقات لم نشأ التوسع في ذكرها.

توفيت رحمها الله يوم الاربعاء 12 ذي القعدة 969 هـ ـ 1562/7/14م ودفنت خارج باب سبته بالمغرب أحد أبواب القصر.

وهي أم ولي الله الشيخ العلامة محمد بن علي ابن عسكر الحسني العلمي صاحب كتاب {دوحة الناشر} ولد بشفشاون عام 936هـ ـ 1530م، وتوفي 30 جماد أول 986 هـ ـ 1578/8/4م.

والتصوف أن تدرس المناط من علة وجودك، وتطوي همتك حدودك ،حتى تغيب وتبقى فرفعتك على قدر صديقيتك.

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)

أحمد زروق

هو أبو الفضل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي نسبة إلى قبيلة البرانس بالمملكة المغربية الفاسي المعروف بزروق ولد بفاس يوم الخميس 22 محرم 846 هـ ـ 1442/6/2م.

وليس لقب زروق شائعا في أسرته وإنما ورثه من جده الذي كانت عيناه زرقاوين بلون البحر، عاش رضي الله عنه يتيما إذ توفي والداه في الأسبوع الذي يلي مولده مباشرة بطاعون يعرفه أهل التاريخ بطاعون عزونه فربته جدته لأمه الفقيهة الصالحة السيدة أم البنين فعلمته الصلاة وأدخلته الكتاب ولقنته بعض أساسيات العلوم الإسلامية.

وعندما ناهز سن الشباب انتظم في سلك جامعة القرويين وأخذ عن كبار أساتذتها الذين ذكرهم بكل اعتزاز في كناشه وهو تقليد جميل كان يحرص عليه أهل العلم اعترافا بفضل الأستاذ على تلميذه وإكبارا لصنيعه وتوثيقا لمصدر المعلومات أفادت منه المكتبة الإسلامية كتبا تُسمى الفهارس والأثبات والكنانيش والإجازات أثرتها ووسعت دائرة اطلاعها.

وفي عام (873هـ ـ 1468م) خرج لأداء فريضة الحج مارا على عجل بالقاهرة وأزهرها الشريف وعلماء ذلك الوقت الأجلة ليعود

بعد سنين ثلاث ليقضي سنة كاملة مُعلما ومُتعلما على عادة الأفاضل في كل وقت فلا يزال أحدهم عالما طالبا للعلم لا يقول علمت حتى يُوارى التراب، وتعرّف أثناء ذلك على شيخه أحمد بن عقبة الحضرمي فأخذ عنه ولزمه إلى أن حان وقت العودة إلى الديار فذهب التلميذُ زروق إلى شيخه الكبير يطلب الإذن والنصيحة فأجابه لذلك وزوده بنصيحة ثمينة هي قوله:

سَلّم لِسَلمَى وسِر حيثُ سارتْ واتبع رياحَ القضّا ودُر حيثُ دارت

ققل الشيخ زروق إذا راجعا إلى المغرب العربي واستمرت المراسلات بين الشيخ وبين تلميذه زروق الذي استقر بعد تطواف طويل بمدينة أوجله ثُمَّ مصراته كلاهما بليبيا سنة (886هـ ـ 1481م) فأحبته وبادلها حبا بحب ومودة بمودة يتولى تعليم أهلها ويجالس تلاميذه في ربوعها لا يخرج منها إلا إلى الحج أو إلى بعض شأنه الخاص إلى أن انتقل إلى جوار ربه في يوم 18 صفر 899هـ ـ 1493م في خلوته وعمره 54 عاما عن زوجتين هما فاطمة الفاسية وأمة الجليل وأربعة أبناء ذكور وابنة واحدة ومؤلفات تربو عن السبعين تحفل بها أرفف المكتبة الإسلامية في تخصصاتها المختلفة وسيرة عطرة تفوح بالخير والهداية بإذن الله .

والتصوف ألا تدل مقبلا على جلال تخلل، أو جمال تعلل، وإنما الدلالة على من جمل وجلل .

(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ)

أحمد العلوى

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى بن محمد العلوي وربما نطقت العلاوي المستغانمي نسبة إلى مستغانم بالجزائر، ولد بمستغانم سنة 1286هـ - 1869م، وبها نشأ وبها التقى بشيخه محمد البوزيدي المعروف بحمو فأخذ عنه ولازمه واقتدى به ففتح الله عليه وصار من كمل أهل الله علما وعملا وسارت مؤلفاته وتصانيفه في الغرب والشرق مشيدة بفضلة صادحة بعلو كعبه.
ثم خرج رضي الله عنه للحج فمر بطرابلس ليبيا وذهب إلى الشام وزار بيت المقدس، ورجع إلى الجزائر فنفع الله تعالى به الآلاف من المسلمين وكماً غير قليل ممن استطاعت جحافل المبشرين استمالتهم للشرك إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر.
لم يدخل رضي الله عنه كتاب تحفيظ القرآن الكريم على عادة أهل ذلك الزمان وإنما تعلم بعض قصار السور من أبيه الذي لم يكن له ابن سواه، فكانت علومه وهبية ربانية ككثير من السلف الطيب أمثال سيدي الدباغ وسيدي الخواص وسيدي الدرقاوي وسيدي علي الجمل وغيرهم فكان علمُ زمانه في العلوم الإسلامية إضافة إلى اجادته اللغة الفرنسية .

أصدر جريدة لسان الدين سنة 1922م التي نجحت في التصدي لكثير من المخططات الفرنسية الظالمة ثُمَّ أوقفها بعد أربع سنين ليصدر جريدة البلاغ سنة 1926م.

أخذ عنه الطريقة في حياته المباركة ما يقرب المائة ألف عدا من أخذ عن أتباعه وورائه من بعده وانتشرت الزوايا العلوية في المغرب العربي كله من بنغازي إلى أقصى المغرب إضافة إلى مصر ودمشق وفلسطين والفالوجا وعدن وأديس أبابا ومارسيليا وباريس ولاهاي وكاردف ثُمَّ بعد وفاته في ليفربول وهال وساوث سيلدز وبيرمنجهام .

اشتد به المرض سنة 1932م ولازمه إلى أن انتقل إلى جوار ربه الكريم سنة 1353هـ - 1934م، وهو يقول: ها أنا ذا أرسل أخيرا إلى حيث استريح في جناب الله وأغمض عينيه وفاضت روحه الكريمة.

ولم تكن له رضي الله عنه ذرية من صلبه فكأن الله اراده أبا لكل راغب لطريق الحق والصدق.

له كثير من المؤلفات في تفسير القرآن الكريم والتصوف والمباحث الإسلامية المختلفة منها كتاب البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، وشرح لمتن ابن عاشر بلسان القوم، ورسائل غاية من الاحاطة وكمال المعرفة، ولازالت الطريقة العلوية مهدا لأهل الله وقبلة لطالبي العلم اينما كانوا.

والتصوف أن ينطق الوتر عن الشفع في الحضرة القدسية كما ينطق عن عينه في البقعة الانسية.

(قَالَ رَبِّ إِنِّيْ لا أَمْلِكُ إلاّ نَفْسِيْ وَأَخِيْ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَ)

الأمير عبد القادر الجزائرى

هو ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين الشريف الحسيني ولد يوم 23 رجب 1222هـ - 1807م بقرية القيطنة غربي مدينة معسكر بالجزائر ثُمَّ انتقلت أسرته إلى وهران سنة 1821م .
ذهب مع أبيه للحج سنة 1825م وزار مصر والشام والعراق وبرقة وطرابلس وأخذ عن بعض من لقيه من العلماء ورجع إلى بلده القيطنة سنة 1828م.
1830/5/13م يوم - لا رده الله - أسود في تاريخ العرب يؤرخ كأول يوم للإستعمار الفرنسي في الجزائر، البوارج تقصف والمدافع تنشر الموت والخراب وجنود المستعمر يتسربون من على ظهر الحاملات الضخمة ليدنسوا التراب الطاهر، استمرت المعارك لمدة 22 يوما بدون توقف لدقيقة واحدة، وبويع في وهران شيخ الطريقة القادرية السيد محي الدين والد السيد عبد القادر أميرا على الجهاد فخاض بمريديه ومن انخرط معه من أشاوس الجهاد ضد العدو المعارك الطاحنة ومواهب ابنه الجهادية والقيادية وشدة بأسه وحسن تدبيره تتضح يوما عن يوم حتى معركة (خنق النطاح) إذ قلده والده الأمارة وبايعه الناس يوم 28/ 2/ 1832م ولقبه والده ذلك اليوم

بناصر الدين وولاه مشيخة الطريقة القادرية فكان بحق خير خلف لخير سلف.
فرتب الجبهة الداخلية وعين رجال الدولة وكتابها ووزراءها في المواقع التي يسيطر عليها، واستمر طيلة ثمانية عشر عاما يحارب المستعمر بجلد وقوة وصبر ومصابرة انهكت قوى العدو وأرهقته.
يقول كونت سفرى في كتابه الأمير عبد القادر ملك الأقطاع المغربية وسلطان الأرباض الجزائرية ص 33:
إن الامير عبد القادر قهر مائة وخمسين قائدا كبيرا وعشرة مشيرين وخمسة أمراء من العائلة المالكة وستة عشر ممن تولوا وزارة الحربية وجيوشا لا يقل عددها عن مائتي ألف مقاتل وهدر من وراء ذلك ملايين ومليارات الفرنكات زعزعت الاقتصاد الفرنسي وعجزت الدولة بعده عن التوازن المالي لأمد طويل.
ولم تشغل هذه الواجبات الجسيمة هذا الرجل المبارك عن واجبه كشيخ للطريقة القادرية له مسؤوليته التربوية والعلمية فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وتأخذ الغيرة على الإسلام والمسلمين بمجامع قلبه، ولا يجهل أهل العلم مناظرته مع رجال الأزهر الشريف حول شاذروان الكعبة المشرفة، ومناظرته مع علماء فاس فيمن انضم من المسلمين للكفار، وكتابه الشهير المواقف يعتبر من المراجع الصوفية الهامة، وله ديوان شعر بلسان القوم غاية في الرفعة والمتانة
وكان يخرج في ذكرى المولد النبوي الشريف مع رجاله إلى ساحة متسعة حيث يحتفل بالمولد الشريف بالكيفية التي توافق ما كان عليه

الحال آنذاك حيث تُقام المناورات العسكرية والمعارك التدريبية الوهمية بمشاركة المدفعية والخيالة .

واستمر رضي الله عنه يحمل لواء الجهاد حتى استطاعت فرنسا القضاء على مقاومته بجهد جهيد مكلف فخرج من الجزائر ليجاهد بقلمه ولسانه في المحافل العربية والدولية وانتهت رحلته بالإقامة بدمر في سوريا أيام كان للعربي حرية التنقل والسكنى حيث شاء من ديار العرب بلا عراقيل ولا قيود ولا جوازات ولا حدود ويكتفي باللسان العربي على اختلاف لهجاته كدليل لا يقبل الشك على صدق الانتماء للأسرة العربية الكبيرة وحق الإقامة في بيتها الكبير العامر والتمتع بالأمن والأمان بين ذكورها وإناثها، طيب الله ثرى هاتيك الأماسي.

وتوفي رضي الله عنه يوم 19 رجب 1300هـ - 1883م وصُلي عليه بالجامع الاموي بدمشق ثُمَّ حُملت جنازته ليدفن بجوار الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي رضي الله عنه، ثُمَّ نُقل إلى الجزائر بعد استقلالها ليوارى جسده الطاهر في البقاع التي ارتوت من دمه.

والتصوف أن تكون فرد أوانك، ولسان حال زمانك، أنت عنها تتكلم وهي بك تترنم .

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ)

عبد السلام الأسمر

ولد رضي الله عنه من أبوين كريمين هما السيد سليم بن محمد الفيتوري والسيدة سليمة بنت عبد الرحمن بن عبد الواحد الدرعي في موافقة كريمة لا تخفى دلالتها على أولي البصائر إذ كانت يوم الاثنين 12ربيع الأول 880هـ بمدينة زليتن وتبعد حوالي - 150 كم- عن حاضرة طرابلس.

وقبل أن يتجاوز العامين ينتقل والده إلى جوار ربه الكريم فتقوم عليه أمه وعمه السيد أحمد بن محمد الذي كان من علماء اللغة وأحد فرسان القريض فدرس عليه الأجرومية في اللغة العربية وشيئا من المنطق والتوحيد والفقه، ثُمَّ انقطع قبل ان يناهز الحلم إلى شيخه السيد عبد الواحد الدوكالي فتلقى عنه العلم الظاهر وعلم إصلاح القلوب المسمى عند القوم بالعلم الباطن، فهو شيخه الذي إليه ينتسب وفق الاصطلاح الصوفي الكريم.

وإن استطاع البيان أن يرسم صورة لسيدي عبد السلام الاسمر رضي الله عنه فلا ريب أنها ستكون جميلة جذابة، إذ كان متوسط الجسم ربعة معتدل القوام إلى الطول أقرب جميل الصورة يميل للسمرة خفيف شعر اللحية أسود العينين والحواجب والأهداب فصيح اللسان عذب المجالسة، واشتهر بجمال صوته إلى درجة كبيرة.

وقد تعرض في حياته لمحن كثيرة إذ أُخرج من بلدته زليتن سبع مرات ونُفي إلى مناطق منها العامر بالسكان ومنها القاحل سنوات طوال، قضى منها أعواما شدادا في جبل غريان وأخرى في سوف الجين، وأهين وشتم وأوذي في الله سبحانه أيما ايذاء، وقتلوا ابنه واشتد المكر به والتضييق عليه وعلى من معه وكانوا خمس عشرة رجلا إلى درجة تفوق احتمال غيره من البشر، ثُمَّ فرَّج الله المحنة في قصة طويلة وعاد معززا مكرما إلى مدينته وذهب الذين أذوه وحاربوه إلى حيث يستحقون.

وعلى عادة بعض متأخري السادة الصوفية فقد كان مكثرا من الشعر الصوفي وينسب له سبعمائة (700) قصيدة عروضية باللغة العربية الفصحى، وأربعمائة (400) مقطعة باللسان الدارج، وثمانمائة (800) على موازين الحسن الششتري، وخمسمائة (500) على موازين الجعراني، وعدد لا يعلمه إلا الله من الأشعار الملحونة وهي مشهورة بكثرة في كل شمال ووسط افريقيا إلى الآن.

بيد أن معظمها ضاع مع مكتبته التي حوت مؤلفاته ومراجعه في فتنة عصفت بتلك المنطقة بعد وفاته بأربع عشرة سنة قادها رجل ادعى النبوة اسمه يحيى بن يحيى السويدي الزرهوني.

ولم يبق من مؤلفاته كاملة إلا القليل أما الاخرى فما بقيت إلا أسماؤها فمنها ثبته {الأنوار السنية} وقد وقع عليه ولي الله الشيخ صالح الجعفري فنشره سنة 1964، و{الوصية الكبرى} وقد طُبع مرارا، و{الوصية الوسطى} مفقود، و{الوصية الصغرى} وقد طُبع مرارا، و{التحفة القدسية} مفقود، و{العظمة في التحدث بالنعمة} لم يعثر منه إلا على صفحة واحدة، و{نصائح التقريب} مفقود.

وقد اجتمع بين يديه رضي الله عنه الآلاف من المريدين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي من الشام ومصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة وتركيا عاصمة الخلافة وقتها بما فيهم مراد آغا أول الولاة الاتراك في ليبيا، والباكستان والهند وامتلأت طرابلس وزليتن ومصراته منهم حتى أجلتهم الإدارة العثمانية إلى أوطانهم بالآلاف بعد وفاته، وأسلم على يديه أعداد كثيرة من اليهود والنصارى وغيرهم.

واهتم به المؤرخون والعلماء ممن عاصره أو جاء بعده فألفوا عنه الكتب وذكروه في دراساتهم وأحاديثهم.

وقد توفي رحمه الله يوم الخميس في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك سنة 981هـ - 1574م وهو الراجح، وفي رواية يوم الأحد.

ولم ينقطع تعليم القرآن الكريم وتدريس العلوم الإسلامية بالزاوية التي كان يدرس بها وهي مدفنه الكريم أيضا منذ ذلك الزمن وفق نظام الحلقات المعتاد سابقا وكم خرَّجت من فطاحل العلماء وجهابذة القراء إلى اليوم حيث أقيمت عليه منارة علمية لتدريس العلوم الإسلامية تحمل اسم منارة الأسمري للعلوم الشرعية بها عدد كبير من الأساتذة ويؤمها طلاب العلم من داخل البلاد وخارجها و يتمتعون بحق السكنى الداخلية المجانية أو الخارجية وتعقد بها الدروس وفق النظم التعليمية الحديثة وتستغرق الدراسة بها طوال اليوم مابين حفظ للقرآن الكريم وتدارس للعلوم الشرعية، ثُمَّ ألحقت بجامعة اسمها الجامعة الأسمرية، بها الآن مئات من طلاب العلم من داخل البلاد وخارجها توفر الإقامة المجانية وتقدم العلم النافع .

والتصوف أن يجمل الراكع الساجد المبتغي في معيتك بسطا، وعنك يحجب المدبر المنكر الملتهي قبضا.

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّـهِ وَالَّذِينَ مَعَـهُ أَشِدَّاء عَلَـى الْكُفَّارِ رُحَمَـاء بَيْنَهُمْ تَـرَاهُمْ رُكَّعـاً سُجَّداً يَبْتَغُـونَ فَضْـلاً مِّـنَ اللَّـهِ وَرِضْـوَاناً سِـيمَاهُمْ فِـي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ)

محمد بن عيسى

المغرب الاقصى في أواخر القرن التاسع الهجري والاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على أشدها والانقلابات والحروب والمجازر لا تخبو أوارها إلا لتتقد من جديد وادعاء النبوات تجارة رائجة يمتهنها المشعوذون والأفاقون ويفتتن بها السذج والجهلة، فأحدهم يُوحى إليه بقرآن من ثمانين سورة منها سورة الجمل وسورة الديك وسورة غرائب الدنيا، والوضوء عند نبي آخر يبدأ بغسل السُرة والصلوات عشر فيها ثلاث سجدات وتقدم صلاة الجمعة إلى الخميس وشهر الصوم إلى رجب وعيد الاضحى في الحادي عشر من محرم، ونبي آخر يُحرمُ أكل رؤوس الحيوانات والطيور وآخر ينهى عن تغيير خلق الله وعليه فيحرم قص الشعر والأظافر ونتف الإبط، والأسبان والبرتغال يستولون على السواحل والثغور من طنجه وتطوان إلى الجزائر وطرابلس والأمور بحاجة إلى رجال من أهل الله الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكره سبحانه.

872هـ - 1467م هو عام ولادة أحد هؤلاء الرجال الذي لم يكن إلا السيد محمد بن عيسى الادريسي الحسني الشريف، فينشأ على أكمل الخصال وأنبلها عند أخواله بني مختار أهل السيدة مريم والدته.
ثم ارتحل به والده إلى فاس عاصمة المغرب العلمية حيث جامع - بل جامعة - القرويين فنهل من علوم الإسلام على يد أفذاذ ذلك العصر حتى برع فيها وتضلع في مجالاتها .
كان معتدل الجسم أقرب إلى الامتلاء أبيض اللون مُشرب بحُمرة، أحمر الشعر أعطره دقيق الحاجبين طويلهما قصير الساعدين عريض الأقدام له هيأة وهيبة ووقار وفصاحة وطلاقة، ذا يسار وغنى ومال وبساتين وعرض كبير أنفقه على الدعوة إلى الله تعالى وأوجه الصلاح والإصلاح.
و يرجع إلى ديار أخواله ليقيم بينهم مدة ينتقل بعدها إلى مكناس حيث يلتقي بالشيخ أحمد بن عمر الحارثي (ت905 هـ - 1500م) وهو أحد أكبر تلامذة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت870هـ - 1465م) صاحب دلائل الخيرات المباشرين، ويأخذ عنه الطريقة الشاذلية ويلزمه بجد واجتهاد حتى يبلغ على يديه الغاية القصوى قربا إلى مولاه سبحانه إلى أن توفي، فيجلس بإذنه للتربية بعده ونشر علوم الإسلام ودحض المنكر ويتقاطر طلاب الحق عليه فيغص مجلسه في الجامع الأعظم بمكناس بكبار العلماء ونوابغ الفقهاء ومن حاجته مولاه تقاطر النحل على جذذ الشهد كلٌ ينهل من هذا البحر الزاخر علما وصلاحا وبركة وخيرا، وتنتشر الطريقة العيساوية لتغطي كل الشمال الافريقي حتى البحر الاحمر .

كان رضي الله عنه يحب أن يجلس إلى أصحابه مابين المغرب والعشاء لا يكل ولا يمل من السعي في الخير والصلاح والحض على الجهاد ومكارم الاخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووفقه الله سبحانه لان يطفئ فتنا وحروبا بحسن هديه وسعيه في الخير حتى أن المرء ليتساءل بدهشة كيف استطاع رجل واحد لا تاج سلطان الدنيا على رأسه ولا سلاح بيده أن يفعل كل هذا.

ولم يؤلف رضي الله عنه كتبا واقتدى في هذا بشيخه الأكبر الإمام الشاذلي الذي كان يقول كتبي أصحابي وإنما ألفت عنه وعن طريقته بعض الكتب قديما وحديثا وله منظومتان في التصوف لازالت موجودة ، وتائية عروضية على لسان القوم بالفصحى حُفظت هي الاخرى عنه حتى عصرنا.

ولاشك أن حياة المصلحين وأعمار المجددين لا تُقاس بسني أعمارهم في الدنيا وإنما بآثارهم التي خلفوها، وقد انتقل رحمه الله إلى جوار ربه سنة 933هـ - 1527م عن واحد وستين سنة .

وتنتشر الطريقة العيساوية في المغرب والجزائر وتونس وليبيا ودخلت مصر في أواخر القرن العاشر الهجري، وهي من الطرق التي حواها كتاب الطرق الصوفية بالديار المصرية الذي وضعه الشيخ محمد توفيق البكري الذي تولى مشيخة الطرق الصوفية بمصر سنة 1892م وبه أيضا ترجمة بسيطة للشيخ محمد بن عيسى رضي الله عنه .

والتصوف أن تكون على بينة من ربك قل المقبلون أو كثر المدبرون فمالك عن بابه محول، ولا هم يحزنون.

(قالَ يَا قوْمِ أرَأيْتُمْ إن كُنتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتانِي مِنْهُ رَحْمَةً فمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إنْ عَصَيْتُهُ)

أحمد ابن عروس

تونس الخضراء تلك الحسناء التي تطل على شاطئ المتوسط في منظر جميل أخاذ وتستسلم له ليداعب وجهها الصبوح بأمواجه المتوالية فلكأنه يزيدها نضارة ورونقا إلى ما هي عليه .

تونس الخضراء والبساتين الوارفة والجداول الرقراقة تكتنفها من كل جانب تتنسم كل يوم ذلك الطقس الذي حباها به الله هي مهد هذا الجهبذ النحرير الذي نحن بصدد سيرته العطرة، ولا أستطيع رد حجة من يقول ان بيئة خلابة كهذه أثّرتْ فيه فشاركها جمالها وتكامل مع حسنها .

هو أحمد بن عبد الله بن أبي بكر المعروف باسم أحمد ابن عروس يرتفع نسبه إلى قبيلة هوارة احدى بطون قبيلة بني تميم العربية، ولد سنة (778هـ - 1376م) بواد اسمه وادي الرمل يقع بضاحية قرية المزاتيين بتونس، وبتونس أيضا توفي سنة (868هـ - 1454م).

وأمه سيدة من مدينة مصراته زهرة الساحل الليبي اسمها سالمة مات زوجها عن ثلاثة أبناء أكبرهم السيد أبوبكر ثُمَّ السيد عبد المغيث وأصغرهم سيدي أحمد الذي نحن بصدده، فتزوجت بعده من آخر وحملت ابنها الصغير أحمد معها لبيته دون أخويه لصغر سنه ومن هنا التصق به لقب ابن عروس .

وقضى فترة من عمره المُبارك الذي قارب التسعين عاما في التنقل في المغرب العربي بين ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، حتى استقر بتونس حيث كانت تأتيه طلاب العلم النافع من كل حدب وصوب لتنهل مما أفاض عليه الله، وكان كغيره من رجال السلف الصالح يتحرى الحلال في معيشته فاشتغل نجارا، ومؤدبا للأطفال وعامل بناء يحمل الحجارة على كاهله إلى موقع العمل ساعده في ذلك بنيان متماسك حباه الله به وقوة عضلية بادية تجللها طلعة جميلة ولحية مسترسلة ضربت بجمالها الأمثال في المغرب العربي حتى قيل: (لا لحية مع ابن عروس)، وكساه الله هيبة وصفها المناوي في الكواكب الدرية بقوله: كان مهابا جدا لا يقدر على لقائه أحد بحيث يقشعر البدن لرؤيته .

وكان يحمل دائما صررا ضخمة حتى عرف بأبي الصرائر، وإن كان البعض ينطقها خطأ السرائر نسبة إلى السريرة والصحيح ما ذكرنا، ترجم له السخاوي في الضوء اللامع بقول: أحمد أبو الصرائر.....الخ،

وإن كان الفضل في حفظ تاريخ حياته المباركة إلى درجة لا بأس بها يرجع إلى تلميذه الشيخ عمر الراشدي الجزائري الذي خصه بكتاب كامل ذكر فيه سيرته ومناقبه اسماه {ابتسام الغروس ووشي الطروس في مناقب أحمد بن عروس}.

ومن جملة ما ذكره في مدح سيدي ابن عروس قوله:

وكَمْ ذي مَطلبٍ تربَت يداهُ بسرِّ أبي الصرايرِ قدْ أُنيلا

وقد طُبع هذا الكتاب بتونس سنة 1885م فحُفظ من الضياع ولا أعلم إن كان قيد أعيد طبعه مرة أخرى، وإن كان وجود مثل هذه الكتب ضروري لإضفاء أكبر قدر من المعرفة على تلك الفترة الحافلة، وعلى رجال زانوا جيد الحضارة الإسلامية، بيد أن المناوي ترجم له وبعض مصادر التاريخ الأخرى ذكرته باقتضاب يسير يسمح إذا جمع إلى بعضه بعض مع كتاب الراشدي بالضرورة باطلاع معقول عنه رضي الله عنه.

واختلط على كثيرين من رجال التاريخ والتراجم فخلطوا بينه وبين أحمد بن عروس آخر طابقه في الاسم واللقب ولكنه من أرض الكنانة ولد بعده بثلاثة قرون ونصف بمدينة قنا في الصعيد المصري، وهو صاحب أزجال في الحكمة وأشعار في الوعظ وقصائد في الدعوة إلى ذم الدنيا والتجافي عنها وعدم الركون لها، بطريقة تشابه أزجال ومقطعات سيدي عبد الرحمن المجذوب في المغرب العربي، وكثيرا ما تُنسب أشعار أحمد بن عروس المصري للآخر وينسب تصوف الأول للأخير، رحمهما الله .

والتصوف أن نموت عنك وتحيا به، فيوم أو بعض يوم وأنت واجد، خير من أحقاب ودهور وأنت فاقد.

(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ)

أبو العباس السبتي

هو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي الانصاري المعروف بالسبتي، لا يخلو من ذكره كتاب عن التصوف وأهله في المغرب العربي ناهيك بمن خصه بكتاب قصره على ترجمته كأبي الحسن البوجمعوي بل حتى بعض كتب القوم من المشرق كالإمام النبهاني في جامع كرامات الأولياء.

ولد رضي الله عنه ببلدة سبته احدى مدن المملكة المغربية الساحلية سنة 524هـ ـ 1130م ومنها جاءه لقب السبتي، وتوفي يوم الاثنين 3 جماد آخر 601هـ ـ 1205م ودفن بقبر العلامة ابن رشد المتوفى عام 595هـ ـ 1199م الذي كان قد أُودع فيه أولا ثُمَّ نقلته أسرته بعد مائة يوم من دفنه إلى موطنهم قرطبة بالأندلس أعادها الله وبقي القبر على حاله حتى أُودع فيه سيدي السبتي رضي الله عنه ثُمَّ دُفن بقربه ابنه عبد الله وحفيده يحيى رحم الله الجميع، وقد بنى عليه السلطان أبوفارس السعدي مسجدا كبيرا سنة 1012هـ ثُمَّ طور.

ويُقبلُ عليه الناس للزيارة بكثرة خصوصا يوم الاربعاء حتى أن الشيخ بابا السوداني ذكر في كتابه {نيل الابتهاج} أنه زاره ما يزيد عن الخمسمائة مرة وهذا غريب جدا من الشيخ السوداني الذي قاسى

كثيرا من عدم الإستقرار في مكان واحد والسجن والإقامة الجبرية طوال فترة بقائه في مراكش لأسباب يخرج بنا ذكرها عما نحن بصدده .

ومن التقاليد الجميلة في مدينة مراكش زيارة السبع رجال ويحرص عليها أهل البلدة ومن أحب زيارة الصالحين من غيرهم ممن يقدمون على هذه المدينة وفق ترتيبهم الذي سنذكره، وبالرغم من وجود أكثر من مائة ولي يُزار بمدينة مراكش إلا أن الناس هناك تواترت هذه الزيارة وصارت تسمية السبع رجال علما على سادة بعينهم وهم:

أبو يعقوب الصنهاجي، ثُمَّ القاضي عياض صاحب كتاب الشفاء، ثُمَّ أبو العباس السبتي الذي نحن بصدده، ثُمَّ الإمام الجزولي صاحب دلائل الخيرات، ثُمَّ تلميذه عبد العزيز التباع، ثُمَّ تلميذه القطب الغزواني، ثُمَّ الإمام السهيلي.

أخذ سيدي السبتي رضي الله عنه التصوف عن أستاذه العارف بالله أبي عبد الله الفخار ومن بين ما أخذه عنه هذه الابيات الذي كان إذا سمعها خرَّ ساجدا، وأنشده اياها حفيدُه يحيى وهو في النزع فأخذ يده وقبلها وهي:

عقدتُ عليكَ مهمات خواطري عقْدَ الرجاءِ فألزمتُكَ حُقوقا
إنَّ الزمانَ عَدا عليَّ فزادني علماً بإنَّكَ خالِقي تحقيقا
ما نالنِي كربٌ بوجهِ مَساءةٍ إلا عبرتُ بهِ إليكَ طَريقا
أمض القضاءَ على الرضا مني بهِ إني وجدتُك بالعبيدِ رفيقا

ومما اشتهر على السنة الناس قولهم :

إنْ تُـــرد نيـــلَ الأمـــاني فــي سُــرورٍ مــعْ تهــان
أو تكــنْ فــي ضــيق حــالٍ مــن ملمــاتِ الزمــان
زُر أبــا العبــاس تظــفر دونَ شــكٍ بالأمــان

إلى آخر الابيات ....

وهي من نظم الحافظ الأفراني (ت1140هـ - 1727م) بيد أنني وجدت من يجعلها في حق سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه لاتفاق الكنية وهذا وهمٌ بيِّن.

كان رضي الله عنه مشاركا بجد واجتهاد في علوم الإسلام فقيها على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه بل كان حائزا لرئاسة الفقه في وقته بصيرا بفروع المذهب ضابطا لقواعده عارفا بصناعة الأحكام، اشتهر بسيره على مقاصد السنة الشريفة وكان من العلم والعمل به والزهد والورع والصدقة والمعروف النهاية قطع عمره في العبادة وجلّل كل هذا بحلو الأقوال وجمال الأفعال حتى وصفه المؤقت المراكشي في كتابه {السعادة الأبدية} بقوله: حجة المغاربة على أهل الأقاليم. ا.هـ.

أخذ عنه كثيرون من أهل العلم والعمل وأحبه الناس وتلاميذه إلى درجة أن أحدهم وهو طبيب يُدعى يوسف بن محمد الأنصاري ويُكنى بأبي يعقوب قوي به الشوق إلى شيخه السبتي بعد وفاته والتلهف عليه واشتد عليه ذلك حتى توفي شهيدا في محبته بعده بأربع سنين.

والتصـوف أن يلـزم المنتهـين المبتـدون، ويكتنـف المنتهـون يمـين المبتدين وشمالهم فيشملهم مايوهبون، ويُذكروا حيثما يذكرون.

(وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ)

عبد الواحد الدوكالي

هو عبد الواحد بن محمد الدوكالي نسبة إلـى منطقـة دوكالـة بـالمغرب التي ولد بها ربمـا فـي عـام 840هـ ، قدم والـده محمـد ويكنـى كعـادة أهل ذلك الزمان بأبي عبد الله من أرض دوكالة بأقصى المغرب إلـى تونس سنة 770هـ بيد أنه اضطر لتركها إثر نزاع علمـي مـع الإمـام الكبير ابن عرفـه علـى أخذ الأجرة علـى الصـلاة إذ كـان يرى عدم جوازها ولذا امتنع عن حضور صلاة الجمعة والجماعـة فشنَّعَ عليـه الإمام ابن عرفه، ولاشك أنه كان صـاحب منزلـة علميـة متميزة وإلا لما حاججه ابن عرفـه شخصيا وهو من هو، فآثر تـرك تـونس إلـى مصـر أرض الكنانـة فقدمها سنة 793هـ فأحسنت استقباله وجـرت مراسـلات بـين علمائهـا والإمـام ابـن عرفـة فـي شـأن الإجـارة علـى الصلاة ذكروا فيها أن المسألة خلافية ولا تستلزم عنتا شديدا، ثُمَّ كان بالإسكندرية سنة 799هـ.

رحم الله تلك الأيام حيث كانت بلاد العرب مفتوحة الأبواب تحتضـن أبناءها من أي بلد قدموا ولا فضل عندها لأحـد عـن أخيـه إلا بمقدار مـا ينفعـه، رحـم الله أيـام كـان العلمـاء يتراسلون ويتحـاورون ويعتـذر بعضهم لبعض كأنهم في قرية واحدة رغم صعوبة الاتصال.

ثم رجعت الأسرة المباركة إلى منطقة مسلاته وتقع على مسافة غير بعيدة من الحاضرة الليبية طرابلس فاستقرت بها.

وبها توفي والده، وإن كان هناك من يقول بوفاته بمصر.

شب سيدي عبد الواحد الدوكالي على هذه السياحات النافعة والتقى بالأساتيذ الذين كانوا يزينون جيد بلاد الإسلام فنهل من علومهم ورتع في مجالسهم وحلق أذكارهم، وتعرّف بمصر بصديقه الشيخ أحمد زروق واشتدت بينهما الألفة والأخوة حتى أنهما عندما تركا مصر واستقرا بليبيا كانا يتزاوران كثيرا خصوصا وأنهما سكنا مدينتين متجاورتين جدا هما مصراته ومسلاته وربما كانت هذه الصداقة بينهما هي السبب في هذا الجوار .

أتقن سيدي عبد الواحد الدوكالي عِلم اللسان العربي وبرع في الفقه وانتهت إليه الفتوى على المذاهب الأربعة وإن كان مالكي المذهب، وذاعت فتواه في طرابلس وتونس وناظرته العلماء حتى أنه اجتمع في مجلس واحد مع مائة مناظر قدموا خصيصا لهذا الأمر فبزهم جميعا واعترفوا له بالتقدمة والإمامة .

ونظام المناظرة هذا ليس كما يتصوره البعض من باب التعجيز والمكابرة وإنما هو شيء أقرب إلى مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه في عصرنا - وحق لهم - فليست علوم الإسلام لكل من ادعاها ما لم تأذنه الأساتيذ.

فاجتمعت بين يديه طلاب العلم وكان يُلقي كل يوم سبع محاضرات علمية كل منها في كتاب من كتب العلم بعينه فواحدة لمختصر خليل وأخرى لحكم ابن عطاء الله السكندري وثالثة في رسالة ابن أبي زيد في الفقه .... وهكذا، ولاشك أنها كانت من السمو والتمكن بمكان

ويكفي أن نذكر أن ولي الله سيدي عبد السلام الأسمر كان أبرز تلاميذ هذه المحاضرات .

وعلى ذكر ولي الله سيدي عبد السلام الأسمر ربما من المفيد أن نقول أنه بالإضافة إلى أنه أخذ عن هذا الأستاذ الجهبذ عِلم الظاهر فهو أيضا شيخه الذي إليه ينتسب في طريق القوم إذ اخذ عنه الطريقة العروسية المنسوبة لسيدي أحمد ابن عروس رضي الله عنه.

وكان الشيخ عبد الواحد الدوكالي رحمه الله قليل مخالطة الناس إلا في علم أو ذكر يكثر من الخلوة وقيام الليل ولا يكاد يتناول من الطعام إلا ما يقيم الأود، اشتهرت سيرته الحسنة ومكارم أخلاقه في البلاد الأمر الذي جعل قلوب الأشرار تحقد عليه فوشى به بعضهم إلى الوالي الذي حقق معه ثُمَّ تبين أن الشكوى كيدية فانقلب الأمر عليهم، ولا ريب أنه رضي الله عنه لم ينفرد بهذه المحن فلا تكاد تجد سيرة مصلح ولو كان نبيا معصوما كريما تخلو من أمر كهذا.

وتوفي رضي الله عنه بقرية زعفران بمسلاته وقد بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وهو بصحة جيدة حتى أنه لم تسقط منه سن واحدة يوم الجمعة في شهر رمضان عام 970هـ - 1563م تقريبا وبها دفن.

ولم ينقطع تعليم القرآن الكريم وتدريس العلوم الإسلامية بالزاوية التي كان يُدَّرسُ بها وهي أيضا محل دفنه المبارك منذ ذلك الوقت فكم خرَّجت من فطاحل العلماء وجهابذة القراء إلى اليوم حيث أقيمت عليه منارة علمية لتدريس علوم الإسلام تحمل اسم منارة الدوكالي للعلوم الشرعية بها عدد كبير من الأساتذة ويؤمها طلاب

العلم النافع ويتمتعون بحق السكنى الداخلية المجانية أو الخارجية بها وتعقد بها حلقات تعليم القرآن الكريم والدروس والمحاضرات وفق النظم التعليمية الحديثة وتبدأ الدراسة بها بعد صلاة الصبح مباشرة إلى صلاة العصر .

والتصـوف أن تُـنظم فـي أسـانيدهم، وتتسلسـل فـي مطلقهـم وقيـدهم، وتُرفعُ لمجملهم وفرقهم ومزيـدهم، ويجـافي القطـع والوقف والعضـل والتعليق والإرسال مُريدُهم .

(وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

محمد المهدى الفاسي

هو أبو عبد الله وأبو عيسى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي، ولد بحي القطـانين فـي القصـر الكبير علـى مسـافة غير بعيدة من فـاس يوم السبت رجـب 1033هـ - 1625م، وتـوفي فـي 9 شـعبان 1109هـ ـ 1698/2/20م أي منـذ ثلاثمائـة سـنة ميلادية تماما.

وهو من أسرة كريمة تنتسب إلـى حـافظ الأنـدلس أبي بكر محمد بن أبـي الجد، كانـت تقيم فـي مدينـة لبلـة مـن أعمـال اشبيلية بالأنـدلس أعادهـا الله ثُمَّ انتقلـت إلـى مالقـا ثُمَّ قدمت إلـى فـاس عـام 880هـ، واشتغل القادمون الأوائل منها بصناعة الشمع ومنها التصق بهم لقب الشماعين.

حفـظ الشـيخ محمـد المهـدي الفاسـي رضـي الله عنـه القـرآن الكـريم بمدينة قصر عبد الكريم التي عرفت أيضا بقصر كتامه، وحملت منذ العصر المريني اسم القصر الكبير، وتقع شمال المغـرب بين الربـاط وطنجه، وأخـذ عـن أبيـه وخـالـه علـم المعقـول والمنقـول ثُمَّ انتقـل إلـى فاس عاصمة المغرب العلمية لإتمام دراسته فبرع في علـوم الإسـلام

إلى درجة كبيرة حتى وصفه صاحب {سلوة الأنفاس} في ترجمته له بأنه:

كان متضلعا في الشريعة والحقيقة سالكا بهما مثلي الطريقة واسع العارضة في الحفظ والتحصيل لا يجاريه في التحقيق محقق ولا نبيل متجردا دائما لتدريس العلم والتأليف والتقييد والإفادة والاستفادة صاحب خط رائق في غاية الإتقان . ا.هـ

وكان رضي الله عنه يجتهد في العبادة ويُكثر من الأذكار يقوم الليل بعشرة أحزاب فلما كبر وضعف جعلها خمسة لا يأكل إلا من عمل يده من مهنة نسخ الكتب التي ساعده خطه الحسن على أن يكون قبلة لطالبيها ولا ينسخ لمن في ماله شبهة ولا يأخذ أجرته مجموعة بل يتقاضاها على حسب ما ينسخ ورعاً حيث لم توجد المطابع بعد وعلى من يرغب في اقتناء كتاب أن يحمله إلى سوق الوراقين لنسخه باليد .

جزى الله أهل المطابع عنا خيرا فقد وفروا علينا الكثير من الجهد والوقت .

وله رضي الله عنه ثمانية عشر مؤلفا لعل أشهرها عند اخواننا المشارقة شرحه الكبير على دلائل الخيرات {مطالع المسرات} وقد طُبع كثيرا مع العلم أن له شرح متوسط وآخر صغير على دلائل الخيرات لم يُطبعا، وله كتاب {ممتع الأسماع في أخبار الجزولي والتباع ومالهما من أتباع}، وكتاب اخر يحمل الاسم نفسه ألحق به من لم يذكره في كتابه الأول، وله كتاب {تحفة أهل الصد يقية} وهو من أهم الكتب التي حوت أسانيد الطرق الصوفية قاطبة، وغيرها

مما لا يتسع المجال لذكره في هذه العجالة بيد أن جميعها لحسن الحظ موجود مابين مطبوع ومخطوط .

وألف عنه تلميذه أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني كتابا خاصا يحمل اسم: {جلاء القلب القاسي لمحاسن سيدي المهدي الفاسي}، هذا عدا من ترجم له في غضون كتاباته اخرهم المستشرق الأوروبي (ليفي بروفنصال) في كتابه مؤرخو الشرفاء.

أخذ الطريقة الجزولية الشاذلية عن ولي الله الشيخ محمد بن عبد الله الاندلسي .

ولمزيد من الايضاح حول شخصية هذا الرجل الفذ أقول: إن شيخ الأزهر الإمام عبد الحليم محمود في نظري هو أقرب شخصية في متصوفي المشرق للشيخ الفاسي فكلاهما من أعلام التصوف الذين جهدوا جهدهم لتنقية التصوف مما علق به خصوصا وأنه جاء في وقت كثر فيه المدعون للتصوف وصعب على الناس التمييز بين الصالحين والمشعوذين وكتابه {تحفة أهل الصديقية} إبطال لادعاء وانحراف كثير من أفعال وأقوال من ينتسبون جهلا للتصوف لإغراض لا تمت لله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بصلة ببيان انقطاع اتصالهم بالتصوف ورجاله .

ولعل هذا أحد أهم سبل الاصلاح اليوم في الوسط الصوفي الطاهر،،،

والتصوف ألا تُقطعُ بك المواهب عن خاطبيها ، بل توصلها بالله في الله لمن سألت الله أن يهبكه له من مستحقيها.

(فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)

أحمد بن مخلوف الشابي

اشتهر اسم الشاعر الكبير أبي القاسم الشابي على الألسنة في المشرق والمغرب ودرست المدارس والجامعات والكليات ذات العلاقة أشعاره الحسنة وقصائده المبدعة في ردهات درسها بيد أن قليل من المشارقة من يعلمون أنه من أحفاد رجل صوفي أسس في القرن التاسع الهجري طريقة صوفية تعتبر من أكبر الطرق في عصرها وأقواها أثرا في ما حولها لأجيال عدة ولا زالت، وهذا الرجل الصوفي الكبير هو:
أبو العباس أحمد بن مخلوف الشابي نسبة إلى بلدة شابة التي تقع قرب مدينة صفاقس بالساحل التونسي الجميل محل مولده عام 835هـ ـ 1432م تقريبا، وبها حفظ القرآن الكريم ثُمَّ انتقل إلى تونس العاصمة حيث أقام بالمدرسة المنتصرية التي أسسها السلطان المنتصر الحفصي على نمط المدارس الحفصية المعتادة التي تكفل الإقامة الداخلية لطلابها.
وبها اتصل بكثير من علماء عصره وأخذ عنهم كالشيخ الرصاع ومحمد القسنطيني والبيدموري والفلشاني وبها التقى بولي الله سيدي أحمد بن عروس رضي الله عنه، ومنها رجع إلى الشابة، ثُمَّ إلى قصور الساف حيث لزم الشيخ على المحجوب لمدة طويلة أخذ عنه

الطريقة الشاذلية خلالها وتربى على يديه كأكمل ما يكون حتى وصل به إلى المستوى الذي عبر عنه بقوله: يا أحمد شيخ ما يخدم شيخا فعليك بالقيروان .

ولذا قد يُسمى أحيانا بالقيرواني نسبة إلى القيروان التي انتقل اليها بعد إشارة شيخه وكانت هي مهد الطريقة الصوفية التي عرفت بالشابية ولم يغادرها قط إلا للحج مع رفيقه الشيخ عبد الوهاب الهندي في رحلة قاسيا فيها الكثير من المصاعب لقلة ما بأيديهما، أو لبعض الزيارات الخفيفة لأتباعه في البادية، وسكن بها أولا مسجد الداروني (حومة الباي حاليا) واشتغل بالإمامة فيه وتعليم القرآن الكريم فتعلقت به لجمال أسلوبه وغزارة عطائه القلوب وحفظ عليه خلق القرآن الكريم ونشر الله سبحانه وتعالى طريق القوم على يديه ولم ينتقل إلى جوار ربه الكريم عام 898هـ – 1493م إلا والطريقة الشابية ملء السمع والبصر وإن كانت قد بلغت ذروة انتشارها على يد ابنه عرفة بعده.

واشتهر سيدي أحمد بن مخلوف رضي الله عنه بصفة أهل الله الآخذين عنه سبحانه، حتى وُصف بأنه يجيب لأول وهلة عن المسألة التي يقرأ لها المفتي الكتب الكثيرة فكان بحق مجموع الفضائل والشمائل، وذاعت شهرته كأكبر عالم في علم الكلام بتونس.

أما مابين أيدينا من تفاسير له على مصطلح القوم الإشاري لبعض آي الذكر الحكيم وهي:

تفسير سورة الفاتحة وأول سورة البقرة وشيء من سورة يوسف فإنها من الجمال والعلم بمكان، إضافة إلى تمكنه من قرض

المواجيد الرائقة والشعر الصوفي المتميز، والذي بلغنا منه كما لا بأس به الأمر الذي جعل الافئدة تهوي إليه وتتحلق حوله لتروي عطشها لمعرفة بارئها .

انتشرت الطريقة الشابية التي كانت تجعل العلم أساسا في أمرها حيث يقول شيخها: إن الفقير بلا علم كالعلم بلا عمل وإن العالم العامل على غير بصيرة ربما عظم حقيرة وصغر كبيرة أيما انتشار خصوصا في البوادي التونسية حتى قال خصومه على سبيل التندر: إن الشابي يعلم التوحيد لرعاة البقر، بيد أن هؤلاء الرعاة هم الذين نشروا الهداية بين ذويهم، ثُمَّ في كل دول المغرب العربي ومصر والشام واليمن والعراق وتركيا حيث كانت حلقات الذكر تعقد لتلاوة الأوراد الشابية على رأسها حزب البحر للإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، هذا رغم الفقر المدقع الذي كان يمنع أستاذها الكبير هذا حتى عن الضروريات ورغم ما واجهها من مكائد بعض معاصرية وجهلة من ينتسبون زورا وظلما للجناب الصوفي الرفيع حتى ألف أحدهم كتابا باسم (الرد على الشابية) .

وله من المؤلفات كتاب الجامع في التوحيد والفقه والتصوف، و مجموع الرسائل التي كان رحمه الله يرسلها إلى مريديه في المدن والبوادي وقد جمعت بعد وفاته في كتاب اسماه جامعها (مجموع الفضائل) ، وربما كان له غيرها بيد انه لم يصلنا .

وقد كانت الطريقة الشابية من أوسع الطرق انتشارا خصوصا في تونس والجزائر خلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر الهجري ولا نعجب إن رأينا الأسبان والأتراك ينظرون إليها كندٍ يُحسبُ له ألف حساب فناصبوها العداء حتى قضوا عليها تقريبا، ولازلنا نتمنى

أن يُقيض الله تعالى لهذه الطريقة من يجمع تراثها ويحققه وينقحه ليأخذ محله الجدير به في المكتبة الصوفية العامرة .

والتصوف أن تكون قوتك بركن الباقي سبحانه الشديد، لا بساحة الزائل ـ يالهوانه ـ الزهيد .

(قالَ لَوْ أنّ لِي بِكُمْ قُوّةً أَوْ آوِي إِلىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ)

محمد ابن عسكر الشفشاوني

اسمه محمد بن علي بن عمر ابن عسكر الحسني نسبة لسيدنا الحسن السبط رضي الله عنه العلمي نسبة لجبل العلم بالمملكة المغربية .
ولد بشفشاون سنة 936هـ ـ 1529م، من أب كريم تقي له مشاركة فعالة في الجهاد ومن ذا يفصل الجهاد عن التصوف، وتعرض في احدى المواقع للأسر من قبل الأسبان بطنجه، وأم قانتة عابدة تؤثر عنها مكارم الأخلاق وتُنقل أخبار كراماتها بين تلك البطاح والربوع، في بيت تمكن فيه حب الله ورسوله واعتاد أن يقيم احتفالا ضخما بمناسبة المولد النبوي الشريف تُنحر فيه الأبقار والأغنام ويُقدم فيه الطعام للفقير والمحتاج وعابر السبيل والضيوف والنساء والصبيان .
وكانت أمه وهي المرأة الصالحة تحدث أنها رأت ولي الله سيدي موسى بن عمران الحسني في منامها وبشرها بابنها محمد، وكان من عادتها أيضا أن تضع يدها على بطنها وهي تتلو أورادها وأذكارها أثناء حملها به، وحري بأم كهذه أن تكون أما لمثل هذا الرجل الصالح الذي نحن بصدد سيرته وربما كان هذا باعثا لفتيات لنا في ربوع ديار الإسلام على أن يتخذن منها قدوة ومثالا طيبا ويجعلن لأنفسهن من الأوراد والأذكار نصيبا فلا يخلو يوم الواحدة

منهن من ذكر يخالج حنايا صدرها وورد معتاد يهفو إليه فؤادها فتعمر أوقاتها بمرضاة ربها ويبارك الله ذريتها.

في هذه البيئة المباركة ولد السيد محمد الشفشاوني وفي هذا البيت الكريم درج ودب وترعرع على حب الله ورسوله وتعود منذ صباه الدرس والذكر، وقرأ العلم ببلدة شفشاون وببلدة القصر الكبير، وببعض المراكز البدوية في جبل غمارة والهبط بالمغرب، وألم إلماما كبيرا بمادتي الفقه والتصوف الذي لم يكتف فيه بالجانب النظري وإنما اتصل بأهله وأخذ عنهم، إذ وفقه الله لأخذ الطريقة العيساوية عن جهبذ صوفي كبير وعلم من أعلام التصوف شهير هو الشيخ يوسف بن عيسى الشريف الفجيجي .

تولى الشيخ محمد الشفشاوني القضاء زمن الدولة السعدية في منطقة شفشاون والقصر الكبير وما جاورهما من ريف وأحراش، وبحكم عمله هذا كان يكثر التردد على فاس العاصمة السعدية ومراكش محط العلماء والفضلاء، فكانت هذه الزيارات فرصا أتاحت له لقاء العلماء والخوض معهم والأخذ عنهم الأمر الذي كان له الأثر الكبير في غزارة المادة العلمية المكتسبة عنده، أيضا ساعدت هذه الزيارات المتكررة على معرفة المجتمع لهذه الشخصية المرموقة ورؤيتها عن كثب فكان ذلك أدعى لمزيد من العطاء في هذا المجال الكريم .

وقد ألف رضي الله عنه العديد من المؤلفات الهامة خصوصا في مجال الفقه بيد أن أهم مؤلفاته هو كتاب {دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر}، ألفه قبل وفاته بسنة واحدة كفهرس ذكر فيه شيوخه ومن قرأ عليهم .

وهو أسلوب علمي جميل كان مطروقا معتادا تلك الآونة وقدم توثيقا كبيرا مرفقا بصور واضحة للأعلام وأهل البيان وحسبك بفهرس أحمد ابن القاضي المسمى {درة الحجال}، وفهرس ابن منجور، ودوحة الناشر هذه لتطلع على القرن العاشر بالمغرب برجاله وأحداثه، بيد أنه توسع فيه ليشمل كل من عرف من رجال التصوف في القرن العاشر سواء لقيهم أم لم يلقهم، وقد طبع عدة مرات أولها على المطبعة الحجرية بفاس سنة 1892 وآخرها 1977م.

بيد أنه رضي الله عنه لم يعمر كثيرا إذ فارق الدنيا وهو دون سن الخمسين وتوفي رضي الله عنه في معركة وادي المخازن يوم الاثنين 986هـ - 1578م، بعد أن أخذ عنه الكثيرون علما وعملا وبعد أن وطد دعائم أسلوب صوفي متميز تمثل في محاولته ربط التصوف بسير الحياة اليومية المعتادة والسعي في العيش بالبدن وشغل القلب بالله سبحانه.

ولا يستغرب منه رضي الله عنه هذا إذ هو شاذلي النسبة وهذا أسلوب المدرسة الشاذلية المعروف غير أننا قد نلاحظ في سيرته الزكية مبالغة محمودة ربما فاقت الأصل، وربما غابت عنا في زمننا هذا مبرراتها وظروفها في مجتمع ذلك الوقت غير أننا نعتقد أن أهل الله رضوان الله عليهم أدرى بالأسلوب الأمثل للمسلم الأمثل زمانا ومكانا، ولا غرو فهم مجددو الأمة وعلى عواتقهم تقع هذه المسؤولية الخطيرة، رحمه الله ونفعنا به وبهم.

والتصوف أن تشكو ما نزل بك لا إلى غير الله سبحانه، فبقدر جمعك بعد فرقك بقدر علمك مالا يعلمون من قدرك.

(قالَ إنّمَا أشْكُو بَثّي وَحُزْنِي إلى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

عبد الله الهبطي

هو أبو محمد عبد الله بن محمد الهبطي من فخذة ايمتنه من قبيلة صنهاجة من مدينة طنجه بالمملكة المغربية، وهو غير الشيخ الهبطي صاحب كتاب الوقف المعروف عند علماء قراءات القرآن الكريم.

أخذ رضي الله عنه عن أشياخ عدة منهم: أبو محمد عبد الله القسطلي الاندلسي، أبو العباس أحمد الزقاق، أبو العباس أحمد بن محمد العبادي التلمساني الأكبر، الشيخ زروق الزياتي، أبو عبد الله محمد بن يجبش التازي.

أما شيخه الذي أخذ عنه التصوف فهو ولي الله القطب أبو محمد عبد الله الغزواني (ت935هـ) ، عن سيدي عبد العزيز التباع (914هـ) عن سيدي سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات (ت 870هـ) بسنده الذي ذكرناه في غير هذا الكتاب.

وبالرغم من أن الشيخ الغزواني أستاذ الشيخ الهبطي في طريق القوم كما مر ونهج التزكية الباطنية، إلا أنه تلميذه في علوم الظاهر الكسبية وهذه العلاقة بينهما بالذات هي التي دفعتني للكتابة عن حضرته للوصول إلى هدفين .

الأول: إبراز هذا النموذج الصوفي الهام للباحث والدارس ممن يهتمون بالجانب النظري في طريق القوم إذ أحسب انه لم ينل حظه من البحث والتحليل بعد.
الثاني: محاولة ردع بعض من ابتلي بهم الوسط الصوفي الطاهر من متمشيخين على جهل ولفت انتباههم إلى أن السلف لم يكن يأنف من إعطاء القوس لباريها فترى أحدهم على غزارة علمه وسعة فتوحاته يهتم بتنقية باطن المريد وتهذيبه وهو أصل العلاقة الصوفية في الأساس، ويأخذ عن المريد ما لا يعلم من علوم ومعارف كأي متلقٍ إذ كونه شيخا لا يعني البتة بلوغه غاية العلوم بل نص الاشياخ على أن السالك كلما ازداد علما زاد علما بجهله وأين هذا مما نشاهده اليوم فإنا لله وإنا إليه راجعون.
واتصف الشيخ الهبطي رضي الله عنه بالقيام على قدم الجد في الزهد واتباع السنة ونشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبعد عن التكلف في الملبس والمشرب.
يستحسن كلام سلطان العاشقين ابن الفارض رضي الله عنه ويعتني كثيرا بتائيته الكبرى ولا يكاد يترك ذكرها.
ألف رضي الله عنه الكثير بين منظوم ومنثور واتصف بغزارة العلم حتى قيل أن ما من علم ظاهر أو باطن إلا وهو فيه إمام يُقتدى به فيه وسار بذلك بيان كبار علماء ذلك العصر، فلقبه الشيخ أبو العباس العبادي بجنيد الزمان، ولقبه الشيخ أبو القاسم علي بن خجو بغزالي الزمان، وعده أبو زيد بن شريح من مجددي الأمة، أما هو رضي الله عنه فقال: أقل ما يستفيده من صحبنا إن لم يصح له شيء معرفة الحق من الباطل ا.هـ.

ويالها من رتبة لمن رُزقها إن وفقه الله .
ونتيجة منطقية لهذا نجد بعض من لا يخشى الله ممن تعلم العلم ليرائي به أو يستميل به الوجوه وأموال أهل الدنيا يكيد له عند السلطان ويزج به في مؤامرات ودسائس يخرج منها رضي الله عنه كالإبريز الخالص والسلطان يبالغ في الاعتذار له، ثُمَّ يرفع رضي الله عنه يديه المباركتين بدعوتين اثنتين الأولى على من كاد له ألا تكون له وجاهة عند مسؤول، والثانية على نفسه الشريفة ألا تحمله قدماه لسلطان حتى يلقى وجه ربه الكريم فما أن رجع حتى كانتا شلتا فكان هذا مدعاة لتعجب من حوله.
توفي رحمه الله سنة 963 هـ - 1556م وقد نيف على الثمانين سنة ويعد في كراماته أن مكانا كان يُسمى (معاتب) غير اسمه إلى مواهب فلما توفي دفن فيه رضي الله عنه وأسكب عليه من مواهبه .

والتصوف أن تكون بينهم ممدوحا بفهمك عنه سبحانه، لاعن قادح زناد ذهنك وثاقب تدبر فكرك.

(وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَان فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)

أحمد البهلول

عَـذولِي دعنـــي قــدْ عَـدِمتُ تلــذذي
فما أنتَ لـي يومـاً منَ البين مُنقذي
إذا هبَّ منْ ذاكَ الحِمى عَرْقهُ الشذي
حَـدونا مطـــــايانا مُجـدينَ للــذي
جعلنـــاهُ رأسَ المـــالِ للفــوزِ والــربحِ

لا أستطيع أن أتصور شهر ربيع الاول عندنا شهر مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث نجتمع عادة لتلاوة قصائد مديح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرتبة على حروف الهجاء من ديوان أحمد البهلول رضي الله عنه من دونه، وعادة ما يكون في مجمعنا مادح حسن الصوت متمرس في إحسان مابين يديه فيطرب القلوب والقوالب بمدح من لا تمل القلوب أبدا مديحه طوال هذا الشهر الكريم، فترانا ننتظره وأسرنا بفارغ الصبر ونستعد له احسن ما نستطيع ويبتهج الصغار والنساء والكبار بما سيكون فيه من اجتماعات يومية وقصائد تُتلى ودروس تُلقى وخيرات وبركات تعم الجميع وتدخل عليهم البهجة والسرور فجزاك الله يا سيدي يا رسول الله عنا خير الجزاء.

وديوانه هذا المسمى {الدر الأصفى والزبرجد المُصفى في مدح المُصطفى}، والمشهور باسم {سر باب الوصول}، والذي شاع على ألسنة العوام بالاسم الذي استقر عليه أخيرا وهو ديوان البهلول هو في الأصل قصيدة للقاضي عياض تُسمى العياضية قام رضي الله عنه بتخميسها ورتبها على حروف الهجاء فنتلوا كل يوم أبياتا تنتهي بهذا الحرف، كقوله في أول حرف الالف:

أذوبُ اشتياقاً والفؤادُ بحسرةٍ   وفي طي أحشائي توقّدُ جَمرةِ
متى ترجعُ الأحبابُ منْ طولِ سفرةٍ
(أحبة قلبي عللوني بنظرةِ   فدائي جفاكُم والوصالُ دوائي)

والبيتان الاخيران بين القوسين في كل الديوان من نظم القاضي عياض .

ووجدتُ في الكثير من الدول العربية والإسلامية وحتى عند بعض الجاليات المسلمة في غير ديار الإسلام تلاوة مثل هذه الدواوين في هذا الشهر الكريم إذ تربع فن المديح النبوي الذي ترفع عن أغراض الدنيا الزائلة ومطالبها الفانية وصار عبادة يُتقرب بإخلاصها لله تعالى في صدر فنون الشعر منذ عهد النبوة المبارك على يد اساتذة كبار كحسان بن ثابت وكعب بن زهير ثُمَّ شرف الدين البوصيري بعدُ وأضرابهم، ولاغرو أن فرضت بعض الشخصيات بما قدمته من عطاء أصيل متميز راق في هذا المجال نفسها دون كثير ممن تناولوا هذا الفن غيرها، ولعل أشهرها في عصرنا عموما تخميس محمد بن عبد العزيز الوراق للقصيدة المسماة {القصيدة الوترية في مدح خير البرية} لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي

الشافعي (ت 266هـ)، الذي يتقاسم والبهلول هذا الشهر المبارك في كل البلاد الليبية وربما زاد عنه شهرة وتفرد بالتلاوة أكثر.
بيد أنني وجدت أن شهرة ديوان البهلول أصبحت تتركز في عصرنا في ليبيا حيث بلد هذا العلم وتونس وقليلا جدا في مصر، بعد أن كانت تعم كل شمال أفريقيا ثُمَّ تسير شرقا إلى جزر اندونيسيا مارة ببلاد عامرة مسلمة فتتلقاها تلقي العاشق الوله للجناب النبوي الكريم، وبعد أن طبع ديوانه في عواصم علمية لها ثقلها كمصر وتركيا والهند.
والشيخ البهلول هو الشيخ الأستاذ الصوفي العالم العامل الملقب بالبهلول أبو حسين أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن قايد بن أحمد بن سيد الناس، ولد بطرابلس وبها نشأ على أكمل ما تكون النشأة الحسنة المستقيمة الصالحة وارتحل إلى مصر عاصمة العلوم واستقر في الأزهر لطلب العلم حيث أخذ العلم به عن أفاضل منهم الشيخ أحمد البشبيشي الكبير، والشيخ محمد الخرشي، والشيخ عبدالباقي الزرقاني، والشيخ حسن الشرنبلالي.
وعلى عادة السادة الصوفية فقد روى رضي الله عنه الحديث الشريف وألم بغزارة بمادته دراية ورواية وتفقه وناظر وعاد إلى موطنه طرابلس، أما مقدرته اللغوية والأدبية وألفاظه الصقيلة ومعانيه البديعة ومنزلته في طريق القوم وقطب رحاها محبة واتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكفاك ديوانه لتعرف منزلته فيها.
أما أسلوبه الأدبي الذي قارب فيه التفرد، فلعل اصح ما يُسمى به أنه أسلوب السهل الممتنع إذ ما تلقفته الافئدة العامية والمثقفة على

السواء إلا لسهولة عبارته ورقة معانيه وابتعاده عن الحوشي والغريب الوعر، ولا صعب الاتيان بمثله إلا لهذا السبب .

ومن مؤلفاته إضافة للتخميس المذكور رسائل بديعة على نهج الحريري والهمداني في المقامات منها {المقامة النورية}، واختصر متن العزية في فقه المالكية نظما، وله منظومة أخرى من سبعين بيتا في العقائد سماها {درة العقائد} ألفها سنة 1105هـ على ما ذكره هو نفسه في ساعتين فقط أي أربع ساعات تقريبا بالساعة التي نسير عليها الآن، وله منظومة المعينة وهي في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، تتكون من 602 بيتا من الشعر والكثير من القصائد والمقطعات الشعرية في أغراض مختلفة .

ويتضح أنه إضافة لمكانته المتمكنة كفقيه مالكي بالأساس ولعل اختصاره لمتن العزية في الفقه المالكي يدل على ذلك ملمٌ أيضا بالمذهب الحنفي وهو المذهب الذي ساد فترة الحكم العثماني لبلاد المغرب العربي ثُمَّ انحسر في حدود 1920م والذي كان مستقرا حينها في مدينة طرابلس ثُمَّ يسير منها غربا إلى تونس رغم الغالبية المالكية غير المحدودة في دول المغرب العربي.

وتوفي ليلة السبت 2 رجب 1113هـ -1701م ، ودفن بمقبرة الصحابي الجليل سيدي منيذر بمدينة طرابلس ولازال ضريحه مزارا للمحبين وأيكة يستظل بظلها من اكتوى بنار العشق والهوى لمعان يعرفها أولوا القلوب ويجهلها المحجوبون.

والتصوف أن تُطهر بيته في صدور المقبلين للركوع والسجود، مقتديا بأستاذ طهر بيتك في غيب وشهود.

(وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)

ابن عجيبة

هو أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد ابن عجيبة الإدريسي الحسني الشريف، ولد في مدشر اعجيبش في مدينة تطوان ـ أو تطاون كما تنطق محليا ـ سنة 1161هـ ـ 1178م واشتغل بتعلم القرآن الكريم والطاعات من صلاة وذكر منذ طفولته المبكرة، بل وحفظ القرطبية في الفقه المالكي وهو يرعى الغنم من غير أن يعرف اسمها، كذلك الأجرومية في اللغة، ومتن ابن عاشر، وحببت له الخلوة والابتعاد عما فيه أقرانه من الأطفال من لهو ولعب.

وأتم حفظ القرآن الكريم على جده المهدي، والشيخ أحمد الطالب، وشرع في طلب العلم وعمره تسع سنوات فأخذ العلم عن مشايخ عدة منهم: الشيخ عبد الرحمن الكتامي، والشيخ العربي الزوادي، والفقيه محمد أشمل، والشيخ محمد السوسي السملالي

وفي سنة 1181هـ قدم مدينة تطوان بالمغرب حيث واصل طلب العلم فلازم الشيخ أحمد الرشا، والشيخ عبد الكريم ين قريش، وغيرهما، ودرس في فاس على المُحدث الشهير الشيخ التاودي بن سوده، والشيخ محمد بنيس.

ثم أوقعه الله تعالى ذات يوم على نسخة من حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري فترك الاستزادة من طلب العلم وانقطع للخلوة والعبادة، ثُمَّ طالع شرح ابن عباد الرندي عليها، وحببت إليه الصلاة على النبي إضافة لمكانته المتمكنة كفقيه مالكي بالأساس ولعل اختصاره لمتن العزية في الفقه المالكي يدل على ذلك حتى أنه حفظ دلائل الخيرات عن ظهر قلب لكثرة تلاوته له.

ثم سُري عنه قليلا فاشتغل بالتدريس في مدينة تطوان لمدة خمسة عشرة سنة.

وفي سنة 1208هـ كان راجعا من فاس فأحب المرور على الشيخ أحمد الدرقاوي رضي الله عنه في بادية بني زروال قصد الزيارة والتبرك، فالتقى بالشيخ محمد البوزيدي رضي الله عنه تلميذ الشيخ الدرقاوي فقال له: جعلك الله كالجنيد يتبعك أربع عشرة مائة مرقعة، ثُمَّ ذهب به إلى الشيخ الدرقاوي، وفرحا بقدومه كثيرا ورحبا به وأقام عندهما ثلاثة أيام.

ثم رجع إلى تطوان لمدة قصيرة ليرجع بعدها للشيخ محمد البوزيدي المذكور ويأخذ عنه ويسلك على يديه الكريمتين طريق الله تعالى، ثُمَّ لبس المرقعة ووضع السبحة في رقبته على عادة السادة الدرقاوية لحكم تربوية صوفية ليس هنا مجال التوسع فيها، ثُمَّ أذن له شيخه بالخروج للسياحة والدعوة لله تعالى فاجتهد في ذلك حتى انفق كل ماله وكان ميسورا حتى أنه باع كتبه ومراجعه العلمية، كذلك فقد وفقه الله تعالى لبناء زوايا صوفية في منطقة جبالة .

وكان شيخه يأمره بأن يتصدق بما فوق حاجة يومه، وغسل ثياب اخوانه الفقراء وإطعامهم، والسقاية بالقربة في الأسواق وغير ذلك من صنوف التربية الباطنة والظاهرة.

وعندما امتُحن الدرقاويون بتطوان بمحنة التضييق عليهم من قبل السلطة حيث استعدى علماءُ السوء الصريديَّ حاكم تطوان عليهم، فأدخل كبار رجال الطريقة الدرقاوية السجن، كان ابن عجيبة والشيخ الكويهن، والشيخ المكودي منهم، أما التهم فتمثلت في هذه الاسئلة الوجيهة التالية التي وجهتها المحكمة لهم:

1) لم تلبسون المرقعات؟
2) لم تحطون في أعناقكم السبحات؟
3) لم تأخذون العصا بيدكم؟
4) لماذا تذكرون الله وتصمتون عمن يكلمكم ولا تبالون بمن ينكر عليكم ولا تلتفتون لأحد ولا عليكم فيمن يقركم أو ينكركم أو يمدحكم أو يذمكم؟

وانتهت هذه المحاكمة البائسة بمناظرة بين الشيخ الكويهن وعلماء السوء الذين جمعهم الحاكم فأظهر الله الشيخ الكويهن عليهم جميعا وأبطل حجتهم، ثُمَّ جاء الفرج وتدخل علماء فاس فناصروهم وعاتبوا حاكم تطوان فأخلى سبيلهم من السجن الذي تحول ببركة من حلَّ فيه إلى زاوية كبيرة لا ينقطع منها الذكر وتلاوة القرآن الكريم وإقامة الشعائر إذ تاب من به من مجرمين ولصوص وانخرط جلهم في سلك الله ورسوله.

وللشيخ ابن عجيبة تآليف كثيرة تربو عن الأربعين مؤلفا مابين منثور ومنظوم يخرجنا ذكرها جميعا عما نحن بصدده، بيد ان أشهرها هو:
شرحه على حكم ابن عطاء الله السكندري المسمى {ايقاظ الهمم في شرح الحكم}، وشرحه على المباحث الاصلية المسمى {الفتوحات الالهية}، وتفسيره للقرآن الكريم المسمى {البحر المديد في تفسير القرآن المجيد}، وهي مطبوعة

ومن شعره :

سقاني حِبي منْ مُدَامةِ حُبهِ
فأصبحتُ في خَمرِ الهوى أتضلعُ
فلمَّا سقاني زادَ مِنهُ تعطُّشي
فكانَ فُؤادي بالجوى ينقطعُ
فلو أنَّ الكونَ عرشُهُ مع فرشِهِ
كؤوسٌ لخمرِ الحُبِ ما أنا قانعُ
ولو عشتُ في الكونين نسقي الهوى
على عددِ الأنفاس ما أنا شابعُ
صحا الناسُ منْ سُكرِ الحبيبِ وأفرقوا
وإني على الصهباءِ في الخان جامعُ

وأخذ عنه التصوف أعداد كثيرة وفازوا على يديه بالخير العميم.

وتوفي رحمه الله في 7 شوال 1224هـ - 1808م في بيت شيخه محمد البوزيدي بغمارة شرق تطوان وبه دفن ثُمَّ نقل إلى مسقط رأسه حيث أعيد دفنه هناك .

والتصوف أن تتحقق بعجزك وقصورك وفقرك وضمورك فتحيل الخلق على الحق لا الخلق على الخلق .

(وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)

محمد الخروبي

هو أحد أعلام التصوف قبل كل شيء ثُمَّ فقيه ومؤرخ ودبلوماسي ناجح استطاع التوسط لحل خلافات سياسية ضخمة بين المغرب والجزائر فوقى الله به المسلمين شر الفتن والإحن، يعد من أهم رجال التصوف في المغرب العربي لاتصاله بجل رجاله وطرقه في كل الرقعة التي تغطي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب .
مما يحقق ما نبتغيه من التعريف بمتصوفي المغرب العربي لوجوده في كل بلد منها .
هو الاستاذ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي، ولد بضاحية قرقارش بمدينة طرابلس من أسرة علم وبيت فضل، نشأ في رحاب التصوف حتى قبل أن يولد إن صح التعبير على ما سيري القارئ الكريم، أخذ العلم عن أساتذة عصره كالشيخ عمر بن زيان المديوني، والشيخ محمد عبد الرحمن الحطاب .
أما تصوفه فأشهر الأسانيد القوية تصله بالشيخ أحمد زروق قدس الله سره، بل أنه هو الذي زوج والده علي الخروبي من أمه السيدة زهرة بنت الحاج محمد بوديكي المصراتي مربيته الأولى لوفاة والده

مبكرا، وواظب على رعاية أسرتهم والاستفسار عن أحوالهم بعد وفاة والده.

ويصرح هو تارة بأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الشهير بزيتون في طرابلس، كذلك يتحدث عن صحبة واقتداء واخذ تربية وسلوك له عن الشيخ محمد الحطاب .

و بالرغم من أننا نجهل تاريخ ميلاده إلا أن وفاة الشيخ أحمد زروق رحمه الله سنة 899هـ تشعرنا بصغر سن الشيخ الخروبي وقتها، كذلك فإنه لم يقم بطرابلس كثيرا مع الشيخ زيتون إذ سقطت في يد الأسبان وهجرها جل سكانها.

ارتحل الشيخ محمد الخروبي إلى الجزائر وأقام بها وأخذ عنه كثير من من أهلها، وكان مرموق المكانة عند الصغير والكبير ينظر له حكامها بعين الاحترام والتبجيل، وعندما نشب الخلاف بين الجزائر والمغرب كان هو الذي رأب الله به الصدع ولم الشمل وجنَّب المسلمين الحروب والاضطراب فقدم من الجزائر إلى المغرب مرتين في سفارة بين ملوك وحكام البلدين بقصد إصلاح ذات البين الاولى سنة 959هـ، والثانية سنة 961هـ، وفي كل رحلة يأخذ عنه كثير من أهل المغرب إذ استقبله حكامها وأمراؤها بما يليق به وإن كانت له مناظرات مشهورة هناك في بعض مسائل التوحيد والفقه.

وصفه الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي بأنه: واسع العلم والمعرفة، ووصفه أحمد النائب في النفحات بقوله: كان رحمه الله إماما بارعا محققا، وضاح الفهم ساطع الحجة، عباب الظاهر والباطن.ا.هـ.

توفي بالجزائر العاصمة سنة 963هـ - 1556م وبها دفن.

وقد ألف في التصوف كتاب أصول الحقيقة والطريقة، وكتاب الأنس في التنبيه على عيوب النفس، وكتاب على أحوال الطريقة، وهذه الثلاث هي شروح لأصول منثورة ومنظومة لشيخه أحمد زروق رضي الله عنه، وشرحَ أيضاً حكم ابن عطاء الله السكندري كما فعل شيخه زروق، وشرح الصلاة المشيشية، وله كتاب صوفي اسمه: كفاية المريد وحلية العبيد، وآخر اسمه: ذكر بعض الأولياء بطرابلس، وله قصيدة اسمها: التائية السنية في بناء القوالب البشرية وتقديس الأرواح الإنسانية، وألف في الفقه كتاب مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس، وكتاب رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس، ورسالة في الرد على الشيخ أبي عمر القسطلي، وألف في تفسير القرآن الكريم كتابا اسمه: رياض الأزهار وكنز الأسرار، توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية / مخطوطات مكتبة طلعت / رقم 364 تفسير، 8 اجزاء، نسأل الله أن يقيض لهذه الكنوز من يحققها وينشرها.

والتصوف أن تدوم لله مراقبتك، وتشفق من غمتك في غفلتك، وتلهج بالتنزيه بطنا وظهرا، وإلا دُحضت وفي ظلام بطن القطيعة نُبذت.

(فلوْلا أنّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ للبثَ فِي بَطْنِهِ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

محمد الحراق

هو العارف بالله محمد بن محمد الحراق يرتفع نسبه إلى سيدي عبد السلام بن مشيش، أو بشيش كما ينطقه المشارقة، ولد سنة 1288هـ بمدينة شفشاون، تلقى العلم في بلدته ثُمَّ انتقل إلى فاس عاصمة المغرب العلمية لطلب العلم رفقة والديه اللذين لم يطيقا فراق وحيدهما .

وفي فاس أتم طلب العلم وجلس للتدريس، ثُمَّ انتقل إلى تطوان سنة 1223هـ بعد أن جُدد في السنة نفسها مسجدها الأعظم وطلب سكانها من السلطان أن يبعث لهم من فاس من يدرسهم به، فتولى التدريس به إضافة إلى مهمة الإفتاء وخطبة الجمعة بجامع حارة العيون ثاني أهم مساجد تطوان وفي هذه السنة حدث لقاء بينه وبين الشيخ ابن عجيبة رضي الله عنه (ت1224هـ) إذ دفع له الأخير تفسيره المُسمى {البحر المديد في تفسير القرآن المجيد} ليطلع عليه.

ثم عرض عليه أتباعُ الطريقة الدرقاوية بتطوان إلقاء دروس في علوم الإسلام في زاويتهم فوافق وابتدأ بتدريس الحكم العطائية .

وفي سنة 1229هـ كان الشيخ أحمد الدرقاوي في غمارة للعزاء في أكبر تلاميذه وهو الشيخ محمد البوزيدي رضي الله عنه، فاستدعى بعض تلامذته التطوانيين وأرسل معهم دابة مسرجة ولم يقل لهم هي

لمن، فأخذوها وهم في حيرة من تصرف الشيخ فلما قدموا الزاوية بتطوان وكان الشيخ الحراق بها قال لهم:
إنما أرسل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي هذه البغلة اشارة إلىَّ أن اتوجه لزيارته وملاقاته.
وفعلا ركبها إلى الشيخ الدرقاوي الذي رحب به وعانقه وسط ارتفاع أصوات الحاضرين بالذكر، ثُمَّ رجع إلى بيته واعتكف به مدة ليخرج بعدها أحد أكبر رجال الطريقة الدرقاوية وإمام من أئمة الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، قائلا: دخلت من باب الفضل فلا أدل إلا عليه، ثُمَّ ابتنى بتطوان زاوية جُددت ووسعت بعد أن ضاقت بالمريدين سنة 1244هـ، ثُمَّ اضطر لتوسيعها مرة أخرى سنة 1257هـ، وهي المعروفة حتى الآن بالزاوية الحراقية، وابتنى أخرى في فاس سنة 1246هـ، وأخرى في طنجه سنة 1254هـ، وانتشر الآخذون عنه من شفشاون وتطوان إلى الرباط ومراكش مرورا بكثير من مدن المغرب والجزائر.
وكانت تربطه بالمجاهد الكبير الأمير عبد القادر الجزائري صداقة متينة ومودة أكيدة تجدها جلية فيما جرى بينهما من مراسلات، وكان الشيخ الحراق يُحسنُ استقبال المجاهدين الجزائريين الوافدين على تطوان ويدفع مبلغا معلوما لمستضعفيهم، وأوصى بذلك ليستمر بعد وفاته وقد كان.
وإن كان الشيخ الحراق رضي الله عنه اشترك مع اخوانه الصوفية في صفاتهم العامة والخاصة إلا أنه تميز من بينهم بمقدرته الأدبية الرفيعة ولازال شعره الصوفي البليغ محور اهتمام ودراسة

متصوفي المغرب العربي، وتُردد أشعاره في الزوايا الصوفية وحلقات الذكر حتى اليوم.

ولا أحسب أن من اطلق عليه لقب ابن الفارض المغرب كان من الحق ببعيد، يصفه المؤرخ محمد داود في كتابه النور البرّاق في ترجمة الشيخ محمد الحراق بقوله: نابغة من نوابغ الأدب وأشعاره يتغنى بها كثير من الناس في مختلف الطبقات ويعجز عن الاتيان بمثلها كثير من الادباء.ا.هـ.

ومن شعره:

أَمَاطَتْ عَنْ مَحَاسِنِهَا الخِمَارَا　　فَغَادَرَتِ العُقُولَ بِهَا حَيَارَى

وَبَثَّتْ فِي صَمِيمِ القَلْبِ شَوْقًا　　تَوَقَّدَ مِنْهُ كُلُّ الجِسْمِ نَارَا

وَأَلْقَتْ فِيهِ سِرًّا ثُمَّ قَالَتْ　　أَرى أَرَى الإِفْشَاءَ مِنْكَ اليَوْمَ عَارَا

وَهَلْ يَسْتَطِيعُ كَتْمَ السِّرِّ صَبٌّ　　إِذَا ذُكِرَ الحَبِيبُ لَدَيْهِ طَارَا

توفي رحمه الله في 21 شعبان1261هـ - 1845/8/26م.

والتصوف أن يعلمك في كل حضرة مقال، وفي كل خطاب اسم دال، فخصوصيتك بقدر احاطتك برسم عبوديتك، ولفظ تقتضيه على أبوابه ذلتك.

(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)

ماء العينين

ماء العينين هو اللقب الذي غلب على العارف بالله أبي الأنوار الشيخ محمد مصطفى بن الشيخ محمد فاضل بن محمد مامين الحسني، ولد ببلدة الحوض بصحراء المملكة المغربية سنة 1246 هـ - 1830م.
ولا أدري كيف قلب اسمه إلى مصطفى محمد في كثير من المصادر التي تكلمت عنه، بل وحملت أيضا بعض كتبه التي نُشرت بعد وفاته اسمه مقلوبا هكذا مصطفى محمد .
وهو من أقطاب الطريقة القادرية المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني (ت561 هـ) رضي الله عنه، ويعتبر هو ووالده الشيخ محمد فاضل من أجل رجال التصوف في كل المنطقة الممتدة الواقعة في موريتانيا والساقية الحمراء من صحراء المملكة المغربية، وممن نفع الله سبحانه به خلقه وأقدرهم على تهذيب النفوس وسوقها إلى حضرة القدوس، وقد جمع بين الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس وأهوائها والجهاد الأصغر بالسيف في ساحات

الوغى إذ استطاع الشيخ ماء العينين أن يوحد الطرق الصوفية ويوجهها لمقاومة القوى الأجنبية الفرنسية والاسبانية والبرتغالية، ووفق الله مسعاه.

قال صاحب معجم الشيوخ عنه: وأخباره في العلم والطريق والسياسة واسعة تحتاج إلى مجلد خاص .ا.هـ.

له رحلة إلى بيت الله الحرام لأداء الفريضة مر في خلالها على حكام دول المغرب العربي فكان محل تقديرهم واحترامهم، إذ قدم على سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن صغيرا فجعله ابنه وكان يقول له أنت صغير السن كبير القدر، وقدم على نجله السلطان مولاي محمد فجعله أخاه، وألح حفيده السلطان مولاي الحسن عليه ليقدم إليه فلما أتاه جعله أباه.

وهو ممن أطلعه الله سبحانه على خواص الأسماء والدوائر وسر الحرف، وكان من أعلم أهل عصره بعلوم الإسلام لاسيما علم الحديث الشريف، واللغة العربية، والسير، وله إحاطة ربانية بكتاب الله الكريم بمعرفة ناسخه ومنسوخه وأسباب النزول، وموضوعاته اللغوية والعلمية، وله مؤلفات كثيرة وغزيرة غالبها في مجال التصوف طبع جلها، منها:

كتاب السيف والموسى على قصة الخضر وموسى، وكتاب نعت البدايات وتوصيف النهايات، وكتاب فاتق الرتق على راتق الفتق، وكتاب راموز الحديث، وكتاب تبيين الغموض على النظم المسمى بنعت العروض، وكتاب مغزى الناظر والسامع على من تعلم العلم النافع، وكتاب مبصر المتشوف، وكتاب دليل الرفاق على شمس الاتفاق 3 أجزاء، وكتاب مذهب المخوف على دعوات الحروف،

وكتاب المرافق على الموافق، وكتاب مفيد الحاضرة والبادية، ورسالة قرة العينين في الكلام على الرؤية في الدارين، ورسالة الايضاح لبعض الاصطلاح، ورسالة في مسائل التيمم، ورسالة سهل المرتقى في الحث على التُقى، ومنظومة الكبريت الأحمر.

أيضا كان للطريقة القادرية من خلال الشيخ ماء العينين دورا فعالا في نشر السلام في مالي وما جاورها، وكان هو نفسه أسوة حسنة للمسلمين، وغيرهم بأخلاقه الكاملة وشيمه النبيلة.

وفي سنة 1900م غزت فرنسا موريتانيا ودعمها بفتاوى الخيانة من لا يخاف الله، ورفع الشيخ ماء العينين راية الجهاد والتفت حوله قبائل الساقية الحمراء ووادي الذهب والأدرار وشمال مالي وقبيلة أولاد سليمان الليبية واستطاع أن يعيق تقدمهم وينزل بهم هزائم متتالية ووصل إلى مراكش وحررها، ونصبت الطريقة القادرية الشيخ أحمد الهيبة الملقب بالسلطان الأخضر ابن الشيخ ماء العينين سلطانا على المغرب المحرر.

قال الشيخ أحمد حامد التندغى:

أيا شيخ ماء العينين يا قطبَ ذا العصر
ويا عقلَ إياس ويا همة الدهرِ
ويا جودَ معْن الأوس يا حِلمَ أحنفَ
ويا فُصحَ سحبان وخُلُق أبي بكرِ
أتيناكَ من أقصى السواحلِ نرتجي
قضاءَ أمورٍ لا يحيطُ بها حصري

علـــى قُلـــصٍ نجتـــابُ كُـــلَّ مَفـــازةٍ
نكلفُهـا وصـلَ الـرواح مـعَ الفجـرِ

وقد أخذ عنه الطريقة القادرية خلق كثير من بينهم علماء وأفاضل وأجلة منهم الشيخ أبو العباس أحمد بن الشمس صاحب كتاب {النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية}، والشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد سالم صاحب {منظومة أحكام الحبس}، والشيخ محمد فاضل بن لحبيب صاحب كتاب {الضياء المستبين}، والشيخ عبد الحي القادري شيخ الطريقة القادرية بتطوان صاحب كتاب {بستان الأصاغر والأكابر في ترجمة الشيخ عبد القادر},
بيد أنه ربما كان أشهرهم عند اخواننا المشارقة العلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي الأستاذ في كلية أصول الدين بالأزهر الشريف (ت 1363هـ - 1944م) صاحب الكتاب المشهور المسمى {زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم}، ولهذا الرجل مدائح كثيرة في شيخه ماء العينين منها :
لقـدْ حـازَ المكـارمَ والمعَـالي بفـيض اللهِ خُـولِطَ باكتسـابِ
وديـنُ اللهِ كـانَ لـهُ سِـراجا تـلألأَ فـي الغياهـب كالشـهابِ

كذلك مما يجدر ذكره ونحن بصد ذكر تلامذة الشيخ ماء العينين أن نقول أن سند الطريقة القادرية الشرعية بمصر يتصل بالشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره عن طريق الشيخ ماء العينين إذ أن مؤسسها الشيخ عبد المنعم بن عبد النبي أخذ عن الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي عن الشيخ ماء العينين بسنده القادري، ولا يتسع

المجال لذكره بطوله لطوله، والسند المتداول بينهم الآن الذي نقله عنهم صديقنا الأجل البركة العالم د. يوسف زيدان في كتابه بل مرجعه القيم: {الطريق الصوفي} ص 210، تنتابه علل وقواطع كثيرة بعد الشيخ أبي البقاء المكي وبذا وجب التنبيه.

هذا وقد انتقل الشيخ ماء العينين إلى جوار ربه سنة 1328هـ ـ 1910م ودفن بزاويته بمدينة سمارة بالساقية الحمراء، وحمل راية الجهاد ضد الفرنسيين بعده ابنه الشيخ أحمد الهيبة.

وألف الناس في مناقبه مؤلفات عدة أحسنها كتاب {مجمع البحرين} للشيخ محمد العاقب بن عبد الله بن مايابي الجكني، ورثاه رجال عصره، ولو جمع ما مُدح به حيا ورُثي به ميتا لأحتاج مجلدا كبيرا، ولعل هذا ما عناه الشيخ محمد محمود بن محمد البيضاو الجكني بقوله عنه :

فلا تُتعبْ لسانَكَ في المعاني   فمدحُ الشيخ ليسَ لهُ نفادُ
وإنْ دامت تُساعدُكَ القوافي   وأقلامٌ يساعدُها المدادُ

والتصوف أن يتولى الحق كلامك لك فيا لها من قاطعة، وينوب في حجتك عنك فيا لها من ناصعة.

(قالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ أَن اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)

أحمد بن يوسف الراشدي

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يوسف الإدريسي الحسني، ولد رضي الله عنه بالجزائر، ببني راشد (ومن هنا التصق به لقب الراشدي) ، وبها أخذ العلم كعادة الناس ذلك الوقت عن علماء عصره كالشيخ أبي فضل التونسي، والشيخ أبي عبد الله الشاباني، والشيخ أبي موسى المصري، وارتحل إلى المغرب حيث أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الزيتوني، وحصل على كم مبارك من علوم الإسلام، ونشأ منذ صباه على الاجتهاد في الطاعات، والزهد في الدنيا وبهرجها.

وعندما تعاظمت شهرته، وطفق الناس في الاستماع إليه والاهتداء بنصحه، بلغ ذكره السلطات التركية الحاكمة وقتها في الجزائر، وخافت من ذلك فتحرشت به متهمة إياه بأن له أفكارا تجديدية، وهددته بالسجن فخرج من بني راشد إلى بجاية.
وشاء الله سبحانه له أن يلتقي في سنة 892 هـ في مدينة بجاية في الجزائر بالعارف بالله الشيخ أحمد زروق رضي الله عنه (ت 899 هـ) ، فأخذ عنه الطريقة الزروقية.

ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث خبت حدة الحاكم نحوه، وأخذ عنه الطريقة الزروقية الشاذلية خلق لا يُحصون ينتفعون بقوله وفعله ويتربون على يديه، هذا إضافة لكثير من الكتب والشروح التي ألفها في مجال التصوف، وكان مجلسه يغص بأعداد تفوق الثلاثة آلاف رجل في المجلس الواحد، من أشهرهم:

الشيخ محمد العنطري العربي، والشيخ أحمد بو معزه، والشيخ على الفيلالي، والشيخ محمد بن عبد الرحمن السهيلي، والشيخ أبو سالم التازي، والشيخ سليمان بو سمحه، والشيخ علي بن عبد الله السجلماسي.

وسبحان الله كم أطلع أصفياءه وأحباءه على غوائب في رحم المستقبل فأظهروا ما شاء سبحانه لهم منها، فقد كان الشيخ الراشدي مرة مع شيخه أحمد زروق في بجاية، فأرسلت زوجة الشيخ أحمد زروق أربعة أرغفة، فأعطى الشيخ لتلميذه منها ثلاثة أرغفة وربع، ولا تخفي اشارته هذه إلى أن النصيب الأكبر في انتشار الطريقة الزروقية سيكون على يديه.

وأصح أسانيد الطريقة الشاذلية هي التي تمر عبر الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (870هـ) صاحب دلائل الخيرات، والشيخ أحمد زروق (899 هـ) ، وباستثناء الطريقة البكرية الزروقية المنسوبة للشيخ أبي الحسن البكري (ت909 هـ) الذي أخذ عن الشيخ أحمد زروق في مكة المكرمة، فكل الطرق المتفرعة عن الطريقة الزروقية تمر سندا على الشيخ أحمد الراشدي وهي:

الصادقية الفاسية، اليوسفية، الجملية، الفاسية، المرزوقية، الهاشمية، الراشدية، الغازية، السهلية، الكرزازية، الشيخية، الناصرية،

الزيانية، الدرقاوية، المدنية، العلوية، الكتانية، الصديقية، العشيرة المحمدية، الساعدية، اليشرطية.

وتنتشر الطريقة الراشدية (نسبة للشيخ أحمد الراشدي) كفرع من فروع الطريقة الزروقية الآن في غرب الجزائر، وكذلك انتشرت في واحة توات على يد حفيده الشيخ ميلود الخلادي، بيد أنها لا يرصد لها وجود خارج دولة الجزائر.

وتوفي الشيخ أحمد الراشدي رحمه الله في 927 هـ -1521م على أصح الأقوال، وقيل في 931 هـ - 1525م، ودفن في مدينة مليانه جنوب غرب الجزائر العاصمة، ولذا تجد أحيانا من يذكره باسم يوسف الملياني.

والتصوف ألا يتجاوز العبد قدره فيدل على سيده بتزكية نفسه بقول أو فعل فهو مزكيه ان شاء أو مخفيه فله الأمر من قبل ومن بعد.

(وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ)

عبد الرحمن الجشطولي

الشيخ شمس الدين محمد بن سالم الحفني (ت 1190هـ ـ 1767م) أحد أهم المعالم الصوفية في مصر، إذ يُعتبر من أهم رجال الطريقة الخلوتية بها، وعلى كثرة من تناول سيرته من اخواننا المشارقة في مصر وغيرها، فإن أحدا منهم لم يشر إلى أثره في الجزائر.

وهذا الأثر الصوفي الهام كان عن طريق الشيخ عبد الرحمن الجشطولي مؤسس الطريقة الرحمانية، احدى فروع الطريقة الخلوتية، في المغرب العربي.

ولد الشيخ عبد الرحمن الجشطولي الجرجري في بلدة أيت إسماعيل ببلاد القبائل الكبرى بالجمهورية العربية الجزائرية، سنة 1130 هـ تقريبا، وتلقى تعليمه في زاوية الشيخ صديق وأعراب في بلدة أيت يراثن، ثُمَّ ارتحل إلى مدينة الجزائر العاصمة .

وفي سنة 1146هـ خرج قاصدا بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج في رحلة طويلة جدا استغرقت سبعة وثلاثين سنة متصلة ابتدأها بتوقف في العاصمة المصرية القاهرة لمدة غير قصيرة اجتمع خلالها بالشيخ محمد بن سالم الحفني وصحبه وتربى على يديه وأخذ عنه الطريقة الخلوتية، ومن القاهرة إلى الديار المقدسة حيث أدى

الفريضة وجاور لمدة وأعطى الطريقة الخلوتية بها لمن شاء الله لهم ذلك، وواصل توغله في القارة الأسيوية ناشرا للطريقة معلما ناصحا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حتى بلغ الهند مرورا بدار الخلافة في تركيا.

ورجع بعد هذا الجهاد الطويل المكلل بالإخلاص والتوفيق في الدعوة إلى الله تعالى إلى بلده بالجزائر حيث نشر الطريقة الخلوتية التي سُميت منذ أول يوم ابتدأ في نشرها فيه في الجزائر باسم الطريقة الرحمانية، ولإقبال الناس عليه وتحلقهم حوله وائتمارهم بأمره وانتهائهم بنهيه خاف الوالي التركي منه، فدبر له مع شرذمة من علماء السوء الذين لا يخلو منهم بلاط الحاكم عادة مؤامرة تمثلت في اصدار فتوى فقهية ضد طريقته .

ولكن نور الله لا تذهبه نفخات الحاقدين والمرضى فقد انتشرت الطريقة الرحمانية في بلاد القبائل الكبرى، والصغرى أيضا وأخذ عن الشيخ عبد الرحمن خلق لا يُحصون وبلغت الطريقة أوسع انتشارها، وأسس في بلدة جرجرة بشمال الجزائر زاوية كبيرة اعتبرت هي زاوية الطريقة الرحمانية الأم، ومنها انتشرت هذه الطريقة المباركة، في دول المغرب العربي حيث أسست لها زوايا كبرى بعد وفاة شيخها في قسنطينة، وخنقة، وسيدي ناجي، وطولقة، وأولاد جلال، وشاطودان، ونفطة بتونس، وطرابلس بليبيا.

واستمر مدد الله سبحانه، وسارت هذه الطريقة المباركة على أكمل حال وأبرك منوال حتى انتقل الشيخ عبد الرحمن إلى جوار الرحمن في سنة 1208هـ - 1793م، ودفن في بلدة أيت إسماعيل بالجزائر.

واشتهر رضي الله عنه بعد موته بلقب (بو قبرين) وسبب هذا اللقب أن الاتراك خافوا تكاثر المريدين والقبائل حول ضريحه، فنقلوا جثمانه إلى العاصمة الجزائر وأودعوه قبرا هناك ليكون الزائر له تحت سمعهم وبصرهم، فنبش رجال القبائل قبره في أيت اسماعيل فوجد كأنه دفن اليوم، فلقب بهذا اللقب.

ومن أبرز رجال الطريقة الرحمانية الشيخ محمد أمزيان الحداد شيخ زاوية صدوق الرحمانية، قائد الجهاد في شرق الجزائر سنة 1871م ضد فرنسا، وقد عمدت فرنسا على اثر انخراط كل مريدي الطريقة الرحمانية الذين قدرت عددهم بمائة ألف، في حركة الجهاد واشتباكهم مع جند الاحتلال في معارك ضارية إلى إغلاق زاويتهم الرئيسة في جرجرة، ثُمَّ استطاعت القبض على الشيخ الحداد، وابن الشيخ عبد الرحمن الجشطولي المجاهد الكبير الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الجشطولي، حتى سنة 1875م حيث استطاعت القوات الفرنسية أخيرا تسجيل انتصار عسكري ساحق عليهم.

والتصوف هو أن يرتضيك المولى عبدا من عباده فتكون مادتك رحمة مؤتاه، وعلمك من لدن علاه وتلك رسوم من اجتباه.

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)

حامد الحضيري

هو ولي الله العارف بالله الجامع بين الشريعة والحقيقة الغوث حامد بن حامد بن محمد حضيري بن عبد الله بن إبراهيم، ولد ببلدة الجديد بسبها بإقليم فزان بجنوب ليبيا مابين 970هـ ـ 975هـ أخذ عن عمه أبي بكر الحضيري، وغيره من علماء عصره ثُمَّ ارتحل إلى الأزهر الشريف بمصر حيث أخذ عن كبار أساتذته وعلمائه منهم:
الشيخ سالم السنهوري الذي كتب له إجازة علمية رفيعة، والشيخ محمد الشبراوي، والشيخ إبراهيم اللقاني، والشيخ يوسف الزرقاني، والشيخ محمد الطهطاوي، والشيخ أبو بكر الشنواني.
وهو من كبار مشايخ الطريقة العيسية ــ وهي غير الطريقة العيساوية ـ التي كانت تحظى بانتشار واسع في القرن الحادي عشر في ليبيا وتونس، وطبقت شهرته كل ليبيا وشمال تشاد والسودان والنيجر، وانتفعت به الناس وأخذ عنه كثيرون ومدحته العلماء والأفاضل، فمن ذلك قول بعضهم:

مـنَ الحمدِ قدْ شُقَّ اسمُه فهوَ حامدُ   بنُ حامدِ المشهورِ غوثِ البريةِ
فهبْ سيدي منْ عذبِ سُحبك لى ندى   فـإني جـديرُ الاحتـياجِ لفاقـةِ
أنخـتُ ركـابي فـي حِمـاكُم فهـا أنـا   مقيمٌ إلـى أنْ ترمـزوا بإشـارةِ

وحقن الله سبحانه بـه دمـاء المسلمين فـي تلـك الفترات الغـابرة حيث القانون هو السيف، ووسيلة الاقناع هـي الحروب والـذي يدفع الـثمن بدمه وماله هو المواطن المغلوب على أمره، فوفقـه الله سبحانه سنة 1026هـ للصـلح بين القائد عثمـان بـك قائـد حملـة الـوالي التركـي محمد باشا الساقزلي والأمير محمد بن جهيم حاكم فزان .

وله كلام كثير على لسان القوم ونظمهم فمنه:

شربنا منْ شَرابِ الحُبِّ كأساً سكِرنا بما نشاءُ في الخمراتِ
بذاكَ الحبِ نلتُ أعلى رفعةٍ وفزتُ من البشيرِ في حياتي

تدرج رضي الله عنه في درجات الصلاح والفلاح، ثُمَّ صار غوثا قبل وفاته، وأجرى الله سبحانه على يديه الكثير من خوارق العادة وتواتر الناس روايتها يحدث السلف بها الخلف، إضافة إلى ما دُون في كتب التراجم والسير والتاريخ منها:

إنه كان يرى من قبل حجيج بلده في الديار المقدسة، ومنها أن رجلا طُلب بجناية قتل أتاه تائبا خائفا فقبله، ثُمَّ أخذه الجند منه وبعث به للحاكم، وكان الشيخ حامد الحضيري قد أوصاه بأن يردد كل كلمة يقولها الحاكم.

فلما وصل الجاني إلى الحاكم سأله فأقر بما صنع، فقال الحاك : أوثقوه، فقال الرجل: أوثقوه، فتنكس الحاكم ودهش، فقال: خلوه، فقال الرجل: خلوه، فأفاق.

فسأله الحاكم: ما قضيتك ؟

فأخبره القصة جميعها، وإشارة الشيخ حامد الحضيري له.

فقال الحاكم: اتركوه، وكتب للبلد أن هذا بحرا لا نخوضه.

أما أكبر كراماته على الاطلاق فهي زاويته التي أسسها في الربع الأول من القرن الحادي عشر الهجري في بلدة الجديد بسببها، حيث كانت من أهم المراكز العلمية التي وجدت في كل جنوب ليبيا وشمال تشاد والسودان والنيجر وقتها، وتوافد عليها الطلاب من داخل ليبيا ووسط أفريقيا الذين كانوا يحظون بإقامة مجانية بها، وعمرت بالأساتذة والعلماء، وأوقفت عليها الأوقاف التي مكنتها من تأدية رسالتها العلمية والصوفية على أكمل وجه، واستمرت في التوسع والتكامل حتى عهد قريب مما جعل طلاب العلم يقبلون عليها من الأماكن البعيدة فيجدون ما يشبع طلبهم العلمي ورغبتهم في المعرفة.

و توفي رحمه سنة 1058 هـ - 1648م.

والتصوف أن يتصرف الحق في رسمك واسمك حسب مقتضى مراده فلا - وحقه - اسم لك ولا رسم لك معه.

(وَإِنّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللّهَ رَبّكُمْ وَرَبّ آبَائِكُمْ الْأَوّلِينَ فَكَذّبُوهُ فَإِنّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلّا عِبَادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ)

الهــاروشي

زار ولي الله ذو الأسرار العارف بالله الدال على الله المربي السالك القدوة الشيخ علي فايد (ت 1923م) على غير عادته شابا لا يتجاوز عمره العشرين ربيعا يسكن شبلنجه بمصر اسمه عبد الفتاح القاضي وأعطاه مخطوطا لكتاب يُسمى {كنوز الأسرار}، وقال له خذ هذه وانقلها واجعلها وردك فإنها عظيمة النفع والبركة.
ونسح الشاب تلك المخطوطة واشتغل بها طوال عمره ولن أحدثك عما أنعم الله عليه به ببركة هذه الصلوات من أسرار وأنوار وعطاءات وفتوحات ، ولكنني سأكتفي بقولي أن ذلك الشاب لم يكن إلا الشيخ عبد الفتاح القاضي (ت 1964م) صاحب المدرسة الصوفية العظيمة التي أنجبت شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، والشيخ عبد الجليل قاسم، وصديقنا الشيخ حسن عباس زكى.
قلت هذا لأعرفك بصلوات كنوز الأسرار وصاحبها العارف بالله أبي محمد عبد الله بن محمد الخياط الشهير بالهاروشي، الذي شاع فضله على ألسن وصفحات أهل الفضل، أثنى عليه صاحب شجرة

النور الزكية، وقال عنه شيخ الأزهر د. عبد الحليم محمود في كتابه المدرسة الشاذلية ص 373 عنه ما نصه:

مدفون في تونس وقبره مبارك، ومن المشهور بين أهل تونس أن من زار ضريحه متعمدا مخلصا كان هذا علامة على قبول الله له وعلى أنه من أهل الجنة. ا.هـ.

ولد الشيخ الهاروشي بفاس بالمغرب وبها نشأ، ثُمَّ قدم مدينة طرابلس بليبيا حيث أخذ الطريقة عن جهبذ من أكبر متصوفيها اسمه الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن جابر النايلي (ت1137هـ) ، ولزمه لمدة عامين كاملين وصحبه ونال على يديه خير الدنيا وخير الآخرة، والشيخ النايلي هذا من تلك الصفوة التي يقلب الله على أيديها معادن خلقه، وهاأنا أنقل لك صورة عن تلك الأحاديث رفيعة المستوى التي كانت تدور بين مريدي هذا الجهبذ لتزداد قربا مما أتحدث عنه.

= الشيخ الهاروشي : إنا لله وإنا إليه راجعون خاف ساداتنا رضي الله عنهم كثيرا مما وقعنا فيه، وقد قالوا : أدنى آفة المنطق الشهرة وكفى بها بلية.

= الشيخ عبد الرحمن بن عبد النبي : يا أخي إنما كان هذا في زمن السلف الصالح حيث كان هذا كالماء في كل مكان، وأما اليوم، فالذي يمنع هذا إنما أراد قتل اخوانه عطشا لأنك لا تكاد تجد اليوم من أين تشرب هذه المعارف، ولا مع من تتكلم في هذه الحقائق، فالذي يمنع هذا كمن هو على فضل ماء يمنع منه ابن السبيل.

قال الهاروشي : فاستحسنت كلامه.

وصلوات كنوز الأسرار بركة وفتح ونور مبين، كان الشيخ الأشموني يوصي بقراءتها ويقول: هي ذات سر عجيب في الفتح ومقربة من حضرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .ا.هـ

وصفها الشيخ عبد الفتاح القاضي الذي رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مناما ممسكا بها ويقول: إني أحبها إني أحبها، رحمه الله بقوله:

لم أجد في طريق الله أسرع سبيلا إلى الفتح وأقرب طريقا إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأجلب لرضا المولى سبحانه وتعالى من هذه الصلوات إنها سبب في تذليل صعوبات الحياة كتفريج الكروب وإدرار الرزق وقضاء الحوائج.ا.هـ

ويعلق تلميذه شيخ الأزهر عبد الحليم محمود في نفس الصفحة على حال شيخه معها بقوله:

فمما جربه كثيرا أنه ما همه أمر أو أحاط به مكروه وقرأ هذه النسخة إلا وجد بعدها الفرج والتيسير ا.هـ

أما الشيخ الهاروشي فكان يقول عنها: هذه صلوات عظيمة الأجور والمثوبات تُمحق بها إن شاء الله السيئات وتنموا بها الحسنات وتُرفع بها الدرجات ا.هـ

وللشيخ الهاروشي عدة مؤلفات منها الفتح المبين والدر الثمين خ، بيد أن أهمها وأشهرها هو هذه الصلوات المسماة كنوز الأسرار في الصلاة والسلام على النبي المختار، وهذه الصلوات ليست من تأليفه وإنما جمعها عن العارفين ورتبها وخللها بدعوات واستغفارات وختمها بأذكار مباركات، متأسيا في ذلك بأسلوب الشيخ الجزولي رحمه الله في دلائل الخيرات وقد قامت دار جوامع الكلم بوابة

الثقافة الإسلامية النافعة بالطريقة الجعفرية رضوان الله تعالى على مؤسسها الشيخ صالح الجعفري سنة 1993م باخراجها في طبعة قشيبة جميلة.

توفي الشيخ الهاروشي سنة 1175 هـ - 1762م بتونس، وبها دفن.

والتصوف آيةٌ مبدأهِ تسبيح وانغلاق خطاب، ثُمَّ قوة في أخذ الكتاب، ثُمَّ يقين إتيان حكم بلا اضطراب، ثُمَّ من لدنه حنانا واقتراب، ثُمَّ تزكية الجناب، ثُمَّ تقوى واجتناب، ثُمَّ بر وآداب، وتخلي عن التجبر والمعصية والارتياب، وختامه سلام شامل القبل والحال والبعد والإياب.

(قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)

ابن الطيب القادري

التاريخ هو ذاكرة الشعوب وشخصيتها والمجال الطبيعي لنمو الحضارات، ولك أن تنظر ما تعانيه دولة مثل أمريكا من نقص حاد في شخصيتها الحضارية رغم تصدرها العالم في نظام القطب الواحد الذي نعيشه مقارنة بدول مثل الشام ومصر والعراق واليمن تمتد شرايينها إلى آلاف السنين تصنع النماء والخير لتعرف ما نقصده جليا.

وشيخنا الذي نحن بصدده هو الصوفي المؤرخ محمد بن الطيب القادري سليل أسرة من نسل الشيخ عبد القادر الجيلاني هاجرت من بغداد بعد سقوطها في يد المغول إلى الكوفة ومنها إلى الأندلس ثُمَّ إلى فاس بعد سقوط الأندلس في يد الأسبان، وجل أسانيد الطريقة القادرية بالمملكة المغربية تنتهي إلى الشيخ أحمد اليمني أو إلى هذه

الأسرة التي نؤرخ لهذا الفرع الكريم منها إذ هي بيت الأسرة القادرية بالمغرب.

ولد الشيخ ابن الطيب القادري في 7 ربيع الأول1124هـ - 1712م بفاس بالمغرب وهو مؤلف أهم وأكبر مراجع تاريخ المغرب في القرنين 11- 12هـ ،17- 18م، وهي القرون التي شهدت بعد وفاة السلطان إسماعيل تغلغل الأسبان والفرنسيين في المغرب ولا زلنا حتى اليوم نعيش مرارتها باستمرار احتلال الأسبان لسبته ومليليه.

حفظ ابن الطيب القرآن الكريم ومتون العلم وكفل له تفريغ والده له لطلب العلم تحصيله على نخبة علماء عصره ومصره وعدا من لم تطل ملازمته لهم فقد بلغ عدد شيوخه الفعليين الواحد والعشرين عالما في شتى فروع العلم وأجازه جلهم ، بيد أن أهمهم وأكثرهم فيه أثرا هو الشيخ محمد بن قاسم جسوس إذ لازمه لمدة 32 سنة، وحصل منه على إجازة بكل ما اتصل به.

وبعد وفاة أبيه حل الشيخ ابن الطيب محله في مهنة التوثيق (وهي ما يمكن تسميته في عصرنا بالكاتب الشرعي) فوسع ذلك دائرة اهتماماته.

وتولى التدريس وأقبل طلاب العلم على مجلسه وأخذت عنه كوكبة مباركة شاركت في نشر العلم بعده أبرزهم المؤرخ الفقيه الشيخ سليمان الحوات (ت1231هـ) الذي ألف كتابا أسماه {السر الظاهر فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر} ترجم بتوسع فيه لشيخه ابن الطيب وأسرته وأسلافه، وتوجد من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان واحدة بالخزانة العامة بالرباط،

والأخرى بالخزانة الملكية بالرباط تنتظران بصبر من ينفض عن أغلفتها غبار النسيان .
أما الشيخ ابن الطيب القادري فقد ألف أربعة وعشرين كتابا مابين فقه وتصوف وأدب ولغة وعلوم إسلامية عامة، وهو في هذا لا يتميز عن غيره من العلماء ولا يفوقهم، ولكن إذا ما نظرت لمؤلفاته في التاريخ والسير وهي اثنا عشر كتابا فيقيني أنك سترى الأمر يختلف جدا إذ ستجد نفسك إمام مرجع تاريخي موسوعي كان ولازال محور دراسات وأبحاث ورسالات ماجستير ودكتوراه، ولا نغالي إذا قلنا أن جل من تعرض لتاريخ المملكة المغربية في القرنين 11 - 12هـ لا يستطيع إلا أن يمر به وينقل عنه .

وعظمة تأليفه هذا هي التي دفعت عالما معاصرا هو د. هاشم العلوي القاسمي أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بفاس للقول : إن انتاج القادري التاريخي يشكل مادة أساسية في حركة التدوين التاريخي المغربي.ا.هـ
استطاع ابن الطيب أن يرسم في كتابه {إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر}، صورة متكاملة للقرنين اللذين كانا محور تأريخه فغطى تاريخ الإسلام والاجتماع والثقافة والاقتصاد والسياسة والأزمات والانفراجات، وبالجملة فقد أحصى التقاط الدرر صغائر عصره وكبارها من خلال ترجمته لـ 496 شخصية فكان درة الدرر.
توفي الشيخ ابن الطيب القادري في 25 شعبان 1187هـ ــ 1773/11/11م ودفن في فاس بالمملكة المغربية.

والتصوف أن ترى الملكوت فتخرج عن ناسوت البعد إلى إيقان الواحد الصمد، شتان بين أن ترى الكون بالله وأن ترى الله بالكون .

(فلمّا جَنّ عَلَيْهِ اللّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبّي فلمّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فلمّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبّي فلمّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لّمْ يَهْدِنِي رَبّي لأكُونَنّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالّينَ فلمّا رَأَى الشّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبّي هَذَا أَكْبَرُ فلمّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنّي بَرِيءٌ مّمّا تُشْرِكُونَ إِنّي وَجّهْتُ وَجْهِيَ لِلّذِي فَطَرَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

أبو بكر سراج الدين

الإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله سبحانه الناس عليها، فيه تعيش القلوب والقوالب في مجالها الطبيعي التي جبلت عليه، وإذ ما أزاح العبد عن بصره وبصيرته حجاب التعصب البغيض والمكابرة الممقوتة واستمع لصوت المنطق والعقل ودرس الحجج والبراهين دراسة المنصف الواعي نطق طوعا أو كرها بحق قائلا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ومن هؤلاء الناطقين بالحق الشيخ أبو بكر سراج الدين.

ولد مارتن لنقز Martin lings في شمال انجلترا في 1909/1/24م لأبوين بروتستانتيين أخضعاه لتربية بروتستانتية ملتزمة، وشب على أكمل ما يبغيان ورزقه الله ذكاء وتعمقا في الفهم وحبا في الاطلاع منذ صغره، وتنقل في دراسته بين كلية كلفتون وكلية ماجدولين، ثُمَّ مدارس اكسفورد للدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن .

حتى إذا بلغ عشرين سنة كان قد قرر هجر الدين المسيحي، وعلل ذلك برفضه لفكرة أن تكون المسيحية هي وحدها دين الحق، ثُمَّ قضى رضي الله عنه خمس سنين مُلحدا لا يدين بدين وحصل أثناء هذه الفترة في سنة 1932م على ليسانس الآداب بقسم اللغة الإنجليزية، وفي سنة 1934م عاد إلى مطالعة الديانات وانكب على دراستها وفق التخصص الذي نسميه بالمصطلح المعاصر علم مقارنة الأديان، وكان دليله في دراسته هذه كلمات سيدنا عيسى المسيح عليه السلام:

ملكوت الله في داخلكم، اطلبوا فتجدوا، اقرعوا فيفتح لكم.

فأحس بعد هذه الدراسات المتعمقة أنه لا يستطيع مواصلة الإلحاد، وشاء الله جلت إرادته أن يحل شتاء سنة 1937 م - 1938 م وهي سنة حصوله على الماجستير عليه وهو في العاصمة الفرنسية باريس فاجتمع ببعض المتصوفين من المغرب والجزائر وبعد محادثات واطلاعات ومحاورات شرح الله سبحانه صدره لدين التوحيد فأسلم على أيديهم وغير اسمه إلى أبي بكر سراج الدين وشرع في تعلم العبادات وأركان الدين الاسلامي الحنيف.

وكان أحد هؤلاء الذين هداه الله على أيديهم من مريدي الشيخ أحمد العلوي شيخ الطريقة العلوية شخصيا، تلك الطريقة التي انتسب لها السيد أبو بكر على يد أحد مقدميها إذ توفي شيخها العلوي سنة 1934م أي قبل اسلامه بثلاث أو أربع سنين.

لازم السيد أبو بكر أصحابه هؤلاء مدة ثُمَّ قرر بتشجيع منهم زيارة البلاد العربية، وفعلا كان في صيف سنة 1939م في ضيافة صديق له بالقاهرة، وعين سنة 1940م بجامعة القاهرة محاضرا في الأدب

الإنجليزي، وفي سنة 1948م وكان قد أتقن اللغة العربية شد رحاله صحبة السيدة زوجته حاجا إلى بيت الله الحرام فحج وزار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وطال به المقام في القاهرة لمدة أربعة عشر عاما متصلة أي حتى سنة 1952م حيث عاد أخيرا إلى بريطانيا وكان حصل سنة 1954م على ليسانس في اللغة العربية، ثمَّ دكتوراه في اللغة العربية عام 1959م من جامعة لندن، وعين منذ سنة 1955م مساعدا لرئيس الشؤون المكتبية بقسم الدراسات والكتب الشرقية المطبوعة والمخطوطة في المتحف البريطاني بلندن حتى سنة 1970م، ثُمَّ أمينا للمحفوظات مابين 1970م إلى1971م، وفي عام 1971م رُقي ليكون رئيس القسم .

والحاج أبو بكر سراج الدين رغم قلة من يعرفه من متصوفي البلاد العربية يعد من رجال التصوف المعاصرين البارزين جدا وممن يُنظر لآرائهم وأقوالهم الصوفية بعين الاحترام والاهتمام، وحسبك أن تعلم أنه اختير دون عشرات المختصين من معاصريه لكتابة مقال التصوف في آخر طبعة عاصرها لدائرة المعارف البريطانية.

مؤلفاته :

وقبل الحديث عن مؤلفات هذا العلم الصوفي الكبير أنبه إلى أنه قلما يخلو كتاب له من الدعوة لدين الله والإشارة إلى التصوف ورجاله، ساعده في ذلك اطلاعه على المادة الإسلامية الواسع وثقافته المتعددة، كذلك فان الكتب التي سأذكرها له إنما تُرجمت عناوينها حسب كتابتها الانجليزية، الأمر الذي يجعل باب الاختلاف في ترجمتها حرفيا مفتوحا .

1. ألف السيد أبو بكر سراج الدين عن طريقته العلوية وشيخها أحمد العلوي باللغة الإنجليزبة سنة 1961م كتابا طبع أكثر من مرة اسمه الشيخ أحمد العلوي مجدد القرن العشرين:

The Twentieth Century; Shaikh Ahmad al Alawi،A Moslem Saint Of

وقد ترجم د. محمد إسماعيل الموافي هذا الكتاب وطبع باللغة العربية لأول مرة سنة 1973م ، كما ترجم أيضا للفرنسية .

2. كتاب : العصر ألفه سنة 1952م ترجم إلى اللغات الاسبانية والتركية والفرنسية.
3. نشرات مساعدة للكتب المطبوعة باللغة العربية بالمتحف البريطاني سنة 1959م.
4. كتاب : المعتقدات البالية والخرافات العصرية أصدره سنة 1965 م ترجم إلى التركية والبرتغالية والفرنسية والألمانية واليونانية .
5. كتاب : شكسبير في ضوء الأدب المقدس أصدره سنة 1966م.
6. كتاب : الخواطر والقصائد أصدره سنة 1967 م .
7. كتاب : الهرالدز وقصائد الشعر الأخرى أصدره سنة 1970م.
8. كتاب : إمام التصوف في القرن العشرين أصدره سنة 1971 م ترجم إلى الأردو والفارسية والاسبانية والتركية والفرنسية.
9. كتاب : ماذا تعني الصوفية ترجم إلى الفرنسية والايطالية والاسبانية والألمانية والبرتغالية والبوسنية .

10. وبمساعدة ح . الصفدي أصدر النشرات الثلاث المساعدة في طباعة الكتب العربية في المكتبة البريطانية سنة 1971 م .
11. وبمساعدة ح . الصفدي أيضا أصدر سيرة رسول الله صلى صلى الله عليه وآله وسلم بعنوان أدبيات القرآن الكريم سنة 1983م ترجم إلى الفرنسية والأوردو والتاميلية والاسبانية والعربية والهولندية والبوسنية والإيطالية .
12. كتاب : سر شكسبير أصدره سنة 1984م وترجم إلى الايطالية والاسبانية والفارسية واليونانية والفرنسية .
13. كتاب : الساعة الحادية عشر أصدره سنة 1987 م ترجم إلى الألمانية والفرنسية .
14. كتاب : جوامع الأشعار أصدره سنة 1987م .
15. كتاب : صوفي بعنوان النماذج والطراز أصدره سنة 1990م ترجم إلى الفرنسية .
16. كتاب : عجائب القرآن الكريم أصدره سنة 1998 م .
17. اشترك في اصدار بريتانيكا (معجم معارف) في جامعة كامبردج ، وتولى به الدراسة الإسلامية المقارنة .
18. كتاب : تاريخ الأدب العربي في مسألة الخلق والبعث .

ومن كلام الشيخ أبي بكر عن القرآن الكريم : القرآن كتاب الله كتاب مضاف والله مضاف إليه بكل معنى الإضافة فهو منه سبحانه وتعالى، ومادته منه سبحانه وتعالى ا.هـ.

ومن كلامه الرائع في التصوف: إن كثيرا من أخطاء المستشرقين ترجع إلى عجزهم عن أن يدركوا أن منظور الحب في التصوف

الاسلامي وهو يختلف في ذلك عن التصوف المسيحي ولا ينفصل قط عن منظور المعرفة، وأن المعرفة لا تسلم إلى السكر فحسب بل أيضا تجلب الصحو.

ولازال الشيخ أبو بكر سراج الدين حتى اليوم داعية لدين الله الواحد الأحد في بريطانيا، وقد بارك الله في سعيه فصارت كتبه دروب هداية وصلاح ورشاد أمد الله في عمره .

والتصوف أن يشد الحق بفرقك عضد الأكمل المجموع فيصدق أقلك بصحوه علوه في جمعه.

(وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُون)

الشـشـتـري

مـن أتـــى بابَنـــا أنلنـــاهُ فضـــلاً تلـكَ عاداتُنـــا لمـنْ شَــاءَ قِبلـــةً
واجعـل الفقـرَ شـفيعاً لـكَ تغنـى حبــذا الافتقـــارُ دينــاً وملـــةً

صاحب هذه الأبيات الرفيعة هو ولـي الله المحقق الناطق بالحقيقة الأمير الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري اللوشي من قبيلة هوازن العربية، والششتري نسبة إلـى ششتر قرية بوادي آش بالأندلس، ولد بها سنة 610هـ ، كان أميرا في الأندلس وعاش حياة مرفهة مريحة بيد أن ما جُبل عليه من تطلع إلـى المعرفة والكمال ساقه إلـى رجل يصغره بثلاث سنين ويكبره فضلا وعلما ومعرفة فأخذ عنه وصحبه وحاز علـى يديه الكريمتين خير الدنيا والآخرة، ولم يكن شيخه هذا إلا العارف بالله سيدي عبد الحق ابن سبعين الذي أخذ تلميذه الأمير المرفه هذا بصنوف التربية والعزائم ثُمَّ أمره أن يُغني في الأسواق، ولك تصور مشقة هذا علـى أمير ما كان يعرف إلا تودد الناس إليه والسعي في ارضائه، ولكن العبرة دائما بالنهايات فقد فتح الله علـى الأمير الششتري وصار علما إسلاميا خالدا.

ومالنفك شخصه وأثره محورا لدراسات المهتمين وموضوعا لرسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات الإسلامية والأجنبية ولعل أفضل هذه الدراسات على الاطلاق هي رسالة دكتوراه د. سامي النشار سنة 1948م في جامعة كامبردج ببريطانيا، وجُهل آلاف الأمراء قبله وبعده فما يعرف منهم حتى أسماءهم.

ولتعرف فضل الششتري أنقل لك عنه رأيا لأحد أكبر علماء الإسلام هو الشيخ أحمد زروق الذي وصفه بقوله: الشيخ العارف أحد الصوفية من أبناء الملوك ثُمَّ صار من سادات الصوفية، كان يُقرأ عليه القرآن والسنن عارف بالحديث وأما علم الأسرار والأنوار والحكم والأذواق فحاز فيه قصب السبق وكتبه دائرة على تحقيق العلم ا.هـ.

تعلق الشيخ الششتري بشيخه ابن سبعين وكان يسميه مغناطيس النفوس وإكسير الذوات وساح معه في البلاد كثيرا ولما هجر ابن سبعين الأندلس إلى مكة المكرمة لم يطق الابتعاد عنه فخرج من الأندلس وقدم عليه فيها.

كما طاف لوحده فضلا عن حواضر الأندلس كبريات المدن العربية، وزار مكناس وفاس بالمغرب، وقابس بتونس، ومصر، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والشام، وأقام طويلا بطرابلس بليبيا، وعندما خرج الششتري من ليبيا إلى مصر كان معه قرابة 400 مريد منهم من أتى معه عند قدومه إلى ليبيا ومنهم ليبيون لزموه وصحبوه، ومن موشحاته التي مزجها باللهجة الليبية وألفاظ أهلها العامية تلك التي يقول مطلعها:

شويخ من أرض مكناس،، وسط الأسواق يغني

أش عليا من النـــاس،، وأش على الناس مني..........الخ

وخلف شيخه ابن سبعين بعد وفاته سنة 667هـ ، على طريقته، ولم تُذكر له لقيا بالشاذلي رضي الله عنه رغم تعاصرهما زمانا ومكانا ولكنه التقى مع بعض رجال الطريقة الشاذلية في مصر وتأثر بهم وتأثروا به، وربما في هذا ما يفسر تداول أشعاره بينهم إلى عصرنا.

والشيخ الششتري ممن يسر الله عليهم افهام العوام لكلام الجهابذة الأعلام وطوَّع ألسنتهم للنطق بالحقائق ميسرة بأشعار وأزجال سهلة الحفظ ميسورة الفهم بلغة فصحى، أو عامية أو خليط منهما معا ممزوجة بلهجات البلد التي يحل بها، وأرجو أن أكون موفقا إن قلت أن الششتري فاق بحق شيخه ابن سبعين الذي كان لا يطيق فهم عبارته إلا علية القوم، وليس هذا الرأي قصرا عليَّ دون غيري كما أنني لا أدعي السبق فيه إذ سبقني إليه ابن خلدون في مقدمته ص 331، وابن عباد الرندي في الرسائل الكبرى ص 197، وإنما أحببت اثباته، ولك أن تقرأ كتاب {بد العارف} لابن سبعين لتتيقن مما نذهب اليه.

وكل مؤلفات الششتري في التصوف ولم يؤلف في غيره قط ، وهي: كتاب العروة الوثقى، وكتاب المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية، والرسالة القدسية، والمراتب الإيمانية، والرسالة العلمية، و حوالي 100مقطعة من الأزجال و 50 موشحة ممزوجة بالعربية والعامية، و 40 قصيدة من الشعر الفصيح.

وهو أول من أستخدم الازجال في التصوف، أما الموشحات فقد سبقه ابن عربي في استخدامها صوفيا.

قضى أخر حياته متنقلا بين مصر والشام حتى توفي في 17 صفر 668هـ - 1269م ودفن بقرية طينة قرب مدينة دمياط بمصر، حسب اشارته إذ قال عندما حل بها حنت الطينة إلى الطينة.

والتصوف أن يتذكر أولو الألباب ولا تذكر ما لم تغتسل متطهرا من ظاهر علمك، وتشرب متداويا من باطن كشفك فوهب العطاء رحمة منه لا من سواه.

(ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ)

أبو العباس الشريشي

وللكُلِّ مِنْ كأسِ المَحبةِ شُرْبَةٌ
سَرتْ فيهِ سَري المَاءِ في الغُصْنِ النَضْرِ
فذو العِلمِ طوعُ الحِبِ والحُبُ عندَهُ
موافقةُ المحبوبِ في العُسْرِ واليُسْرِ
فلو قالَ طأْ في النَّارِ والنَّارُ جَمْرُها
لهُ لهَبٌ يرمي الشَرارَةَ كالقصْرِ
لمَا كانَ لمْحُ البرقِ أسرعَ ما يُرى
بِأسرعَ منِّي في امتثاليَ للأمرِ

هذا الرجل الذي سنتحدث عنه أحد أهم وأكبر أعلام التصوف أقول هذا والأسى يحوطني لغيابه عن أقلام المؤرخين ورجال السير، وإن كانت الجريرة تلزم بلا شك أهل التصوف منهم أولا ثُمَّ من سواهم.
الشيخ الشريشي هو أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي التميمي البكري الصديقي المكني بأبي العباس والملقب بتاج الدين والمشهور بالشريشي ولد بسلا بالمملكة المغربية سنة 581 هـ ونشأ بمراكش وبها أخذ عن بعض أهل العلم ثُمَّ ارتحل إلى فاس فأخذ

عن الشيخ أبي عبد الله العندلاوي المعروف بالكتاني، والشيخ أبي ذر الخشني، والشيخ أبي العباس القفال، ثُمَّ ارتحل إلى الأندلس فأخذ عن بعض أهلها ومنها إلى رباط أبي محمد بن عبد السلام التونسي بتلمسان في الجزائر فأقام به لمدة وبه اجتمع بالشاعر أبي زيد الفازازي الأندلسي ونشأت بينهما محبة في الله، وطالما أرسل الفازازي لأخيه في الله الشيخ الشريشي قصائده يبثه شوقه وحنينه للقياه والاجتماع به منها التي يقول مطلعها:

أنا مُذْ بنتَ ياأبا العباس   في رجاءِ منَ اللقاءِ وياس
ودموعٌ للبينِ تهمِي ولكنْ   نشفتْها حرارةُ الأنفاس

ثم ارتحل الشيخ الشريشي إلى بيت الله الحرام فأدى فريضة الحج ومنها إلى بغداد حيث روى الحديث عن العارف بالله أبي صالح نصر الجيلاني حفيد سيدي عبد القادر الجيلاني، وأخذ التاريخ عن أبي الحسن القطيعي، ودرس على الشيخ أبي محمد قيس بن فيروز الحنبلي، وأخذ علم الكلام عن الشيخ المقترح الشافعي، وأخذ الطب عن أبي بيان، ورجع إلى الاسكندرية وبها أخذ أصول الفقه عن الشيخ شمس الدين الأبياري.

أما التصوف فقد أخذه عن العارف بالله سلطان أهل الحقيقة الشيخ شهاب الدين أبي حفص السهروردي صاحب كتاب {عوارف المعارف}.

والشيخ الشريشي من أئمة الإسلام المبرزين في أصول الفقه والنحو وعلم الكلام، أما علم التصوف فقد انتهت إليه تقدمته في عصره.

ومن أهم وأكبر مآثره قصيدة {أنوار السرائر وسائر الأنوار} التي دلت على علو كعبه في طريق القوم وطول باعه، ضربت شهرتها الآفاق ولطالما كانت محور مجالس رجال التصوف يتدارسونها ويسلكون بها، وكان الشيخ الدميري صاحب كتاب {حياة الحيوان} كثيرا ما يُحرض عليها أصحابه وجميع تلامذته شديد العناية بها يديم الكلام عليها ويشرح بعض مقاماتها، وقال عنها الشيخ أحمد بن يوسف الفاسي : أخذها الناس عنه وطارت كل مطار للإجادة في نظمها وضبطها وإحكام ما اشتملت عليه من هذا الفن ا,هـ.

وقال عنها صاحب {إثمد العينين} : هذه القصيدة حجة عند أهل هذه الطريقة ولم يزل المشايخ رضي الله عنهم يحضون عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها ا.هـ.

ولكن هذه القصيدة الهامة جدا لم تشتهر باسمها الذي سماها به مؤلفها، وانما اشتهرت باسم رائية الشريشي، وعدد أبياتها 140 بيتا، يقول مطلعها:

إذا مَا بَدا مِنْ بَاطِنٍ حَالَـةُ الزَجْرِ
فمَـا هُــو إلا البِـرُ مِـنْ مِـنَح البَـرِ
ومِــنْ حُكْـمِ حَــالِ الانْتِبــاهِ إذا بَـدا
شُـهودُكَ حَالَ النَّفس فِي غَايـةِ القفْرِ

وقد شرحها الشيخ أحمد بن يوسف الفاسي سنة 1309هـ في سفر قيم جدا، وطبع هذا الشرح أول مرة منذ أكثر من قرن بالمطبعة الشرفية بالخرنفش بالقاهرة سنة 1316هـ ، والطبعة الثانية كانت

على يد مكتبة النجاح بطرابلس بليبيا، ولم يُعاد طبع هذا الشرح بعدها للأسف.
وبقدر ما كانت رائية الشريشي مشهورة متداولة عند المتصوفين الأول بقدر ما هي مجهولة مهجورة عند متصوفي عصرنا أما صاحبها فما عدت تجد من يعرف عنه شيئا، وفي سنة 1995م اجتمعت بمدينة طرابلس بصديقنا الشيخ د. محمود العواطلي شيخ الطريقة الرفاعية بالأردن وابتهجت عندما أخبرني أنه يعرف هذه القصيدة بل وأضاف أن شرحا له عليها مطبوع، بيد أنني فوجئت بأنه نسبها فيه للشيخ أبي العباس المرسي (ت686 هـ).
سكن الشيخ الشريشي شريش ومنها جاءه لقبه، واستوطن أخر عمره الفيوم بمصر وبها توفي ودفن في ربيع الأول641هـ - 1243م.
وعسى أن يساهم هذا العمل المتواضع في نفض الغبار عن هذا العَلَم الخالد وعمله الخالد، وتوثيقه، وربما طمعنا في ما هو أكثر.

والتصوف أن تدوم مراقبتك فتتفجر حكمته في مخاطبتك، وما من كون عنه ببعيد وهو إليه أقرب اليك من حبل الوريد.

(يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْض يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)

ابن البنا السرقسطي

قال الشيخ ابن البنا السرقسطي:

يـا مُنكـرَ المعقـولِ والمعـانِي ... مـا الصـنعُ فـي أمثـلـةِ القُـرآن
بُعـداً أرى فيـكَ عـن الإشـارهْ ... هـلْ تُنكـرنَّ روايـة العِبـارهْ
يـا جـاهلاً أقصـى الكمـالِ وقفـاً ... علـى عقـولٍ وهمُهـا لا يخفـى
أولُ أطـــوارِكَ ثُـــمَّ أولُ ... الحِـسُ والتمييـزُ والتخـيلُ

من أساليب التربية الصوفية المباركة التي ما عدت تجد لحسان حورها خاطبا في مجالس رجال التصوف اليوم ولا لنهجها منهم ذاكرا، تدارس متون التصوف وتعليمها، والتصوف ليس بدعا في هذا عن غيره من العلوم، ترى هل تجد متخصصا في اللغة العربية لا يعرف متن الفية ابن مالك، أو الأجرومية، وهل تجد في مدارس الحديث من لا يعرف متن البيقونية، وفي الميراث من لا يحفظ متن الرحبية، وعلى ذلك قس سائر العلوم.

وإن العجب ليأخذك من تقاعس جيل متصوفي اليوم عن مساواة غيرهم من أهل الفنون الأخرى، والأولى بهم سبقهم.

وقد جرَّنا لهذا الكلام على غير رغبة منا هذا الهجران الصارخ الذي أصاب متن المباحث الأصلية في عصرنا الذي يعد من أهم متون

علوم القوم، المتن الذي قال عنه ابن عجيبة: أجل من بحث سننهم ـ يقصد المتصوفين ـ الدارسة ومآثرهم السنية الفقيه الصوفي ابن البنا السرقسطي في مباحثه الأصلية فلله دره لقد حرر فيه المعنى وبين فيه المبنى ، فبلغ غاية القصد والمُنى بلفظ مختصر بديع ونظم سلس رائق رفيع بين فيه أصول الطريق وأظهر فيه معالم التحقيق ا.هـ .

وابن البنا السرقسطي هو أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف التجيبي ولد بفاس من أسرة أندلسية كانت تسكن سرقسطه ثُمَّ هاجرت بعد سقوط الأندلس إلى المغرب، وهو من أهل فاس عاصمة المغرب العلمية، وبسبب أنه لم يكن مشهورا بالعلم مع أن نظم مباحثه يدل على تبحر وغزارة علم بلغ الغاية، عده أهل العلم من عجائب فاس، ومن منظومته قوله:

ونسبُوا الصوفيَّ للكمالِ وضربوا معناه في الأمثالِ
فهو كالهواءِ في العلوِّ ثُمَّ كمثلِ الأرضِ في الدنوِّ
ثُمَّ كمثلِ النارِ في الضياءِ ثُمَّ كمثلِ الماءِ في الإرواءِ
فهو إذا للكائناتِ حاصرِ إذْ صارَ في معناه كالعناصرِ

وقد شرح الشيخ ابن عجيبة رضي الله عنه (ت1224هـ) تلبية لأمر شيخه العارف بالله محمد بن أحمد البوزيدي متن المباحث الاصلية سنة 1211هـ ، وطُبع هذا الشرح أول مرة بعد قرن من ذلك تقريبا ملحقا بشرح ابن عجيبة على الحكم العطائية المسمى ايقاظ الهمم، ثُمَّ تلته الطبعة الثانية سنة 1331هـ بمطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر، ثُمَّ أعيد طبعه منفصلا أكثر من مرة .

وتوفي الشيخ ابن البنا السرقسطي بفاس وبها دفن ولم يُعرف تاريخ وفاته، وغاية ما تصل إليه في هذا الأمر هو قول الشيخ أحمد زروق رضي الله عنه: لم أقف على تاريخ وفاته غير أن الظن الغالب أنه قريب العهد ا.هـ

وإذا علمت أن الشيخ زروق توفي سنة 899هـ ، رجحت على ضوء كلامه أن وفاته كانت والله أعلم مابين 850هـ - 880هـ، كذلك يجدر التنبيه إلى أنه غير المتصوف الكبير سيدي ابن البنا الصوفي صاحب الحساب الذي توفي سنة 721هـ بمراكش.

والتصوف أن تفارق أوصاف بشريتك وتتطهر عن أدناس كثافتك، فالكون أنت إنسان عينه وبك رفعة غينه.

(فلمّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقطّعْنَ أَيْدِيَهُنّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَٰذا بَشَرًا إنْ هَٰذا إلّا مَلَكٌ كريمٌ)

علي الشريف

ولد الشيخ علي بن قاسم بن محمد المشهور بهاشم القرشي بن مصطفى الشريف الحسني الادريسي بمدينة تونس العاصمة، وأخذ العلم عن رجال عصره ومصره إذ لم تُذكر له رحلة لطلب العلم بل نشأ بتونس على أكمل حال وأفضله، وهو سليل أسرة توارثت التصوف كابرا عن كابر.

فوالده هو الشيخ قاسم الشريف شيخ الطريقة العيساوية، ويعد من أبرز علماء تونس.

وعمه الشيخ أبو العباس أحمد الشريف شيخ زاوية على دبوز بدرب العسال بتونس.

أما أستاذه الفعلي في طريق القوم وشيخه فيها فهو عمه العارف بالله الشيخ أبو بكر الشريف الذي يعد من كبار متصوفة المغرب العربي وله من بديع الشعر الصوفي والموشحات ما يأخذ بالألباب، وكان شيخا للطريقة العيساوية، ومن كراماته أن الناظر في عينيه الكريمتين كان يرى مكتوبا في احداهما الجد والأخرى محمد، ومن ذلك قول الشيخ خلف الله القيرواني في قصيدة طويلة له في مدحه:

قدْ شاعَ عندَ الورى اثباتُ نِسبتِهِ ... وإنَّ عِنوانَهُ في عينهِ كُتبا

توفي الشيخ أبوبكر الشريف سنة 1199هـ ودفن بالجلاز بتونس.
ولنعد إلى الشيخ علي الشريف الذي كان يقيم بداره العامرة في حومة عاشور قرب باب سويقه بتونس العاصمة على مسافة غير بعيدة من زاويتهم المسماة زاوية سيدي الحاري، وكان أخذ التصوف عن والده وعمه وكلاهما أخذا عن والدهما الشيخ هاشم القرشي .
فقد اضطلع الشيخ علي الشريف بمهام الطريق على أكمل وجه فقصدته الرجال للتربية والسلوك ووفقه الله سبحانه سنة 1231هـ لتجديد بناء زاوية سيدي الحاري العيساوية التي كانت منارة للعلم وملجأ لعابر السبيل والمنقطع وأمانا للخائف، وشاع فضله عند الخاص والعام وأجرى الله سبحانه على يديه الكرامات تترى، وأعطاه سبحانه صريح الكشف وأفاض عليه من عطائه الأسنى، وزان ذلك بأدب جم وعلم غزير وبركة واضحة ولسان فصيح، وله الكثير من جيد الشعر، منه قوله:

إذا شِئتَ أنْ تُعطى السعادةَ والهُدى
وتحظى بسِرٍ لا يزالُ مُسرمَدا
وتأمنَ في الدُنيا من الضرِ والأسى
وتبلغَ ما ترجوهُ تحظى مُمَجَّدا
ومنْ سكراتِ الموتِ تنجو وهولِهِ
ومن فِتنةِ القبرِ المَهُولِ تُبَعَّدا
وتعدو على متن الصَراطِ بسُرعةٍ
وتحيا سعيداً ذا مقامٍ مُمدَّدا
وتُنظمَ في سِلكِ المُريدينَ فاتبعْ

طريقَ ابـن عيسـى المغربـيِّ مُحمَّـدا

ومنه في مدح سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

سـماءُ علـومِ الـدين نـورُ وجودِهـا هو العالمُ الأسنى وبابُ المدينةِ
سرى فيهِ سرٌّ من شذا سرِّ صِهرهِ فأبدى علـومَ القومِ ثُمَّ الطريقـةِ
بحيـــدرة كنُّـــاه أكـــرمُ شـــافعٍ مُحمدٍ أزكى المرسلينَ الأئمـةِ

وقد أخذ عن الشيخ علـي الشريف التصوف خلق لا تُحصـى أهمهم الشيخ محمد المسعودي (ت 1288هـ) الـذي قدم عليـه بحـرا مـن طرابلس في رمضـان 1264 هـ ثُمَّ خلفه علـى الطريقـة بعد وفاتـه، وكان يصفه بقوله: شيخنا العـالم العلامـة الخيـر البحـر الفهامـة السيد الشريف المعمر الرضي الأرضى سيدي ومولاي ا.هـ .

أما الشيخ الحطاب بن محمد القروي الشهير بالبـارودي فكان يصفه بقوله: المُربي من جد فوجد وعم فضله على سقماء البلد.ا.هـ .

ومن نفيس كلام الشيخ علي الشريف الدال على منزلته قوله : خـالف هواك وواصل من عاداك وزن أحوالك بميزان الشرع القويم وتخلق بأخلاق القرآن العظيم.ا.هـ .

ومن دعائه: زح - اللهم - عن خواطرنـا شُبه المبطلين واكشـف عنـا حجـب الشـكوك ونـور قلوبنـا بـأنوار اليقـين واجعلنـا مـن الفـائزين المخاطبين بقولك ادخلوها بسلام آمنين.

لزمه المرض في الثلاث سنين الأخيرة من عمره حتـى كـان لا يقوم عن فراشه إلا بمساعدة ومن شعره في مرضـه:

دَعوتُـكَ يـامولايَ فاقـــبل شـكيتِي

فلـــيسَ سِـــــواكَ كاشـــفاً لبليتـــي
تعــاظَمَ كربــي ثُــمَّ سُـدتْ مئـــــاربي
وأهملنِـي مـنْ كـانَ مـنْ أهـلِ نجـدتي
وضـاقتْ بي الأكوانُ منْ كُلِّ جانـبٍ
أغثــني بلُطـفٍ منـكَ يـأتي بسُـرعةِ
بسِلســلةِ الأقطــابِ أدعـــوكَ ربَّنــا
لتحصـيلِ مرغـوبي ومحـوِ خطيئتِـي

وتـوفي رضـي الله عنـه عن سن عاليـة فـي شـهر رجـب 1265هـ - 1849م ودفـن بزاويـة سـيدي الحــاري العيسـاوية بـالقلالين بتـونس العاصمة .

فــــــــهرس

مؤلفات فضيلة المُحدث المؤرخ مُسند الديار الليبية
علامة ليبيا الكبير الشيخ أحمد القطعاني

منقولة عن صفحة {موسوعة القطعاني} على الفيس سبوك ... الناشر.
https://www.facebook.com/alqatani.encyclopedia

1. مختارات من غناوي البادية (أدب شعبي) / مخطوط {ألفه سنة 1972م}.
2. الروائح الشذية / مخطوط {ألفه سنة 1978م}.
3. الكناش / مخطوط {ألفه سنة 1983م}.
4. متون ليبية / مخطوط {ألفه سنة 1984م}.
5. تسهيل المرام لدارس عقيدة العوام (عقيدة أشعرية) / أكثر من 10 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1984م}.
6. مرشد المبتدئين في تلخيص متن المرشد المعين (فقه مالكي) / مخطوط {ألفه سنة 1985م}.
7. لا مخبأ لعطر بعد عروس (أدب)/ مخطوط {ألفه سنة 1985م}.
8. مواجيد المحبين وأشواقهم لسيد المرسلين / مطبوع {ألفه سنة 1987م}.
9. منتخبات زهر الخمائل من قصائد الشعر الشعبي للأواخر والأوائل / (أدب شعبي) مخطوط {ألفه سنة 1987م}.
10. الخلاصة / مخطوط {ألفه سنة 1989م}.
11. الحجة المؤتاه في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف يا عباد الله / أكثر من 22 طبعة كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1990م}.
12. القطب الأنور عبد السلام الأسمر / 8 طبعات كما نشر على شبكة النت {ألفه سنة 1992م}.

13. الشيخ الكامل محمد بن عيسى / أكثر من 8 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1992م}.
14. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط كتاب {مختصر البحر الكبير} للشيخ عبد الرحمن المكي ت998هـ،1590م / مخطوط {ألفه سنة 1993م}.
15. الآرس في نسب الفواتير من آل بوفارس (أنساب) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1993م}.
16. الإهابة بمن دفن في البلاد الليبية من الصحابة (تاريخ) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1994م}.
17. الداني المدني محمد حسن حمزة ظافر المدني / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
18. الوارث النبوي أحمد بن مصطفى العلوي / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
19. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط كتاب {فتح العليم} للشيخ عبد السلام بن عثمان ت1139هـ،1727م / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
20. تحفة الحبيب الزائر (تراجم) / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
21. الغوث في أوراد الشيخ محمد بن عيسى الغوث / 3 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
22. قاف العرب (في علم القراءات)/ مخطوط {ألفه سنة 1995م}.
23. شيخ الشهداء الصوفي عمر المختار (تاريخ)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
24. حراس العقيدة (تراجم)/ طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1996م}.
25. برقمة عند الوكن (تربية وتعليم)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1997م}.

26. دليل الخيرات محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1997م}.
27. مسرحية فتح مكة (مسرح)/ مطبوع {ألفه سنة 1997م} وهي مسرحية ذات رؤيا تتحدث عن فتح مكة لقلوب الناس وعن أساليب الدعوة الإسلامية الخالدة وآراء كبار مفكري العالم وأدبائه وأعلامه فيها وتقبل عقول الناس وانشراح قلوبهم لها قدم العرض الأول لها بمناسبة ذكرى فتح مكة التي كانت على الأبواب على مسرح الفنان محمد عبد الهادي بدرنه في 16/ رمضان/1418 الموافق 1998/1/15م أداء طلاب وطالبات منارة الصحابة للعلوم الشرعية وإخراج الفنان منصور سرقيوه.
ثم قدم العرض الثاني لها مساء يوم الخميس 2008/10/09 م في اليوم الوطني للمسرح في ليبيا وذلك بمناسبة مرور 100 عام على تأسيس المسرح الليبي الحديث أدتها على مسرح الكشاف بطرابلس فرقة غفران للأعمال الفنية والمسرحية بالتعاون في عرضها مع العديد من الفرق الفنية الليبية المماثلة وإخراج الفنان صالح بوالسنون.
28. مجالس الفقراء/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1998م}.
29. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط ديوان الشيخ أحمد البهلول ت1113هـ،1701م (مدايح نبوية) / أكثر من 20 طبعة كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
30. على مشارف تونس (أدب رحلات) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
31. من مسجد الحي إلى المسجد الأقصى (دراسات إسلامية)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
32. معالم وأعلام (أدب رحلات) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.

33. موسوعة القطعاني الإسلام والمسلمون في ليبيا / طبعتان {أتم تأليفه سنة 2000م}.

استغرق تأليفها 18 عاما تؤرخ لأكثر من 1400 عام أي منذ الفتح الإسلامي لليبيا سنة 21هـ وتوثق تاريخ ليبيا الإسلامية بأدق تفاصيله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وسواها ، والصحابة الكرام وآل البيت عليهم السلام الذين دخلوها والذين دفنوا بها منهم ، وأهم الأحداث الإسلامية التي حدثت بها ، وحوت تراجم 700 شخصية من الأعلام ذكورا وإناثا غالبها يؤرخ له لأول مرة ، والرجال المميزين من غير الليبيين الذين دخلوا ليبيا وأثروا بها وعام دخولهم إليها وأهم أعمالهم فيها.

وأكثر من 100 عمود نسب ونحو 600 سند متصل وسند 40 كتاب حديث شريف وأرخت لكل الطرق الصوفية التي ظهرت بليبيا مع ذكر مؤسسيها ومشايخها ووقت ظهورها في البلاد وزواياها وأسانيدها الصوفية ومصطلحاتها وتعريفاتها وبحوث علمية حولها ووثقت وضبطت عدد قبائل ليبيا والكثير من أسرها بادية وحضرا وتنقلاتها وأصول الأمازيغ وهجرتهم إلى شمال أفريقيا ووثقت بمنتهى الدقة لـ 16 دولة هو مجموع الأنظمة التي شكلت دولا أو أسرا حكمت ليبيا في عهدها الإسلامي مع التعريف بمؤسسي هذه الدول والأسر وأهم رجالها ومذهبها وما واجهها من أحداث ، والاستعمارات الحروب الأهلية التي نشبت بليبيا.

وأهم مساجد ليبيا وزواياها ومصاحفها ومدارسها التاريخية ومعاقلها ومكتباتها ومسرحها وصحافتها ومؤسساتها العلمية ، ومؤلفات علمائها المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ودخول أندر نسخة مخطوطة من صحيح البخاري إلى طرابلس والمذاهب الدينية والنحل التي ظهرت بليبيا والفرق الإسلامية من سنة وشيعة وأباضية والمهديين المنتظرين المزيفين والجماعات الإسلامية الحديثة التي دخلتها أو وجدت بها

وتاريخ ظهورها بليبيا ومناقشة أفكارها وعقائدها سياسيا وإسلاميا وثقافيا..

34. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الأولى بعنوان : القطب نجم الدين كبرى رسالتان (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
35. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الثانية بعنوان : المبين الشاهد 29 رسالة (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
36. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الثالثة بعنوان : سياحات القلوب 31 رسالة (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
37. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط منظومة {أهل بدر} للشيخ عبد الله العياشي ت1073هـ،1663م (دراسات إسلامية) مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2001م}.
38. علاج ظاهرة التطرف في ليبيا (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2003م}.
39. منهجية التصنيف السلوكي في التأليف الفقهي المالكي / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2003م}.
40. مسرحية سجين بلا قضبان (مسرح الطفل) / مخطوط {ألفها سنة 2006م}.
41. كأنك تعيش أبدا (الطب البديل)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2006م}.
42. خصائص السيرة النبوية الشريفة (دراسات إسلامية)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة2007م}.
43. المنهج العملي للتحديث {حديث أم زرع نموذجا} (حديث شريف) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2007م}.

44. الكرامة الإسلامية (دراسات إسلامية) / مطبوع كما نشر على شبكة النت {ألفه سنة 2007م}.
45. أوبة المهاجر وتوبة الهاجر(ثبت حديث شريف)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
46. سري للغاية / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
47. أكذوبة الدعوة للإسلام (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
48. وداعا أيتها الدموع(أدب) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
49. موسوعة الأشراف (سيرة نبوية شريفة) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
50. الحب القذر (فقه مستنير) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
51. إسلام للبيع (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
52. الإسلام هو الحل (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
53. رحلات أحمد القطعاني (أدب رحلات) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
54. لماذا أبكيتم عصام ؟ (أدب) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
55. سالم كريِّم القطعاني وصفحات في تاريخ الوطن (تاريخ)/ نُشر على شبكة النت {أتم تأليفه سنة 2016م}.
56. المسرد الطيع في نسب قبيلة العواكلة آل اسميع (أنساب) / مطبوع {ألفه سنة 2011م}.
57. شتاء طرابلس الدامي (تاريخ)/ {ألفه سنة 2011م}.
58. كرائم المسلسلات (ثبت حديث شريف)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2012م}.
59. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط مولد البرزنجي ت 1177هـ،1763م (سيرة نبوية شريفة)/ أكثر من 3 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2013م}.

60. إجازة شيخ الحديث أحمد القطعاني في الأربعين القادرية للشيخ عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني (حديث شريف)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2014م}.
61. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط منظومة {الجوهرة المنثورة} للشيخ عبد السلام الأسمر ت 981هـ،1574م (دراسات إسلامية) مخطوط {ألفه سنة 2015م}.
62. من أبطال العرب نجيب بك الحوراني (تاريخ)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2015م}.
63. أزجال الشيخ عبد الرحمن المجذوب في ليبيا / مخطوط {ألفه سنة 2015م}
64. تونس الزيتونة والزيتون (أدب رحلات) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.
65. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط {رائية الشريشي} ت 641 هـ ، 1243م / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.
66. ثلاثيات البخاري في طرابلس وبنغازي وأوباري (حديث شريف) / مطبوع كما نشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.
67. غنائم المسلسلات (ثبت حديث شريف)/ مخطوط {ألفه سنة 2016م}.
68. تعرُّفُ المُريد على رجال حزب التوحيد (المشهور باسم حزب سبحان الدايم للإمام الجزولي)/ مخطوط {ألفه سنة 2016م}.
69. العرجون (ديوان شعر) / مخطوط.

إضافة إلى :

مسرحيات وأوبريتات موسيقية منها :

- ✓ أوبريت موسيقي بعنوان (الأسوة الحسنة) عرض في يوم السبت 2007/2/3م على مسرح مجمع ذات العماد بطرابلس أداء: فرقة

غفران وذلك في أمسية النور بمناسبة دخول مجلة الأسوة الحسنة عامها العاشر .

- ✓ أوبريت موسيقي بعنوان (اليقظة) عرض في يوم الجمعة 2008/08/08م بطرابلس أداء: فرقة غفران .
- ✓ حولت بعض كتاباته إلى أعمال تلفزيونية وعروض مسرحية.